مغامرات
ع × ٢

٣٦

روايات مصرية للجيب

قضية شبح الضحية

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب

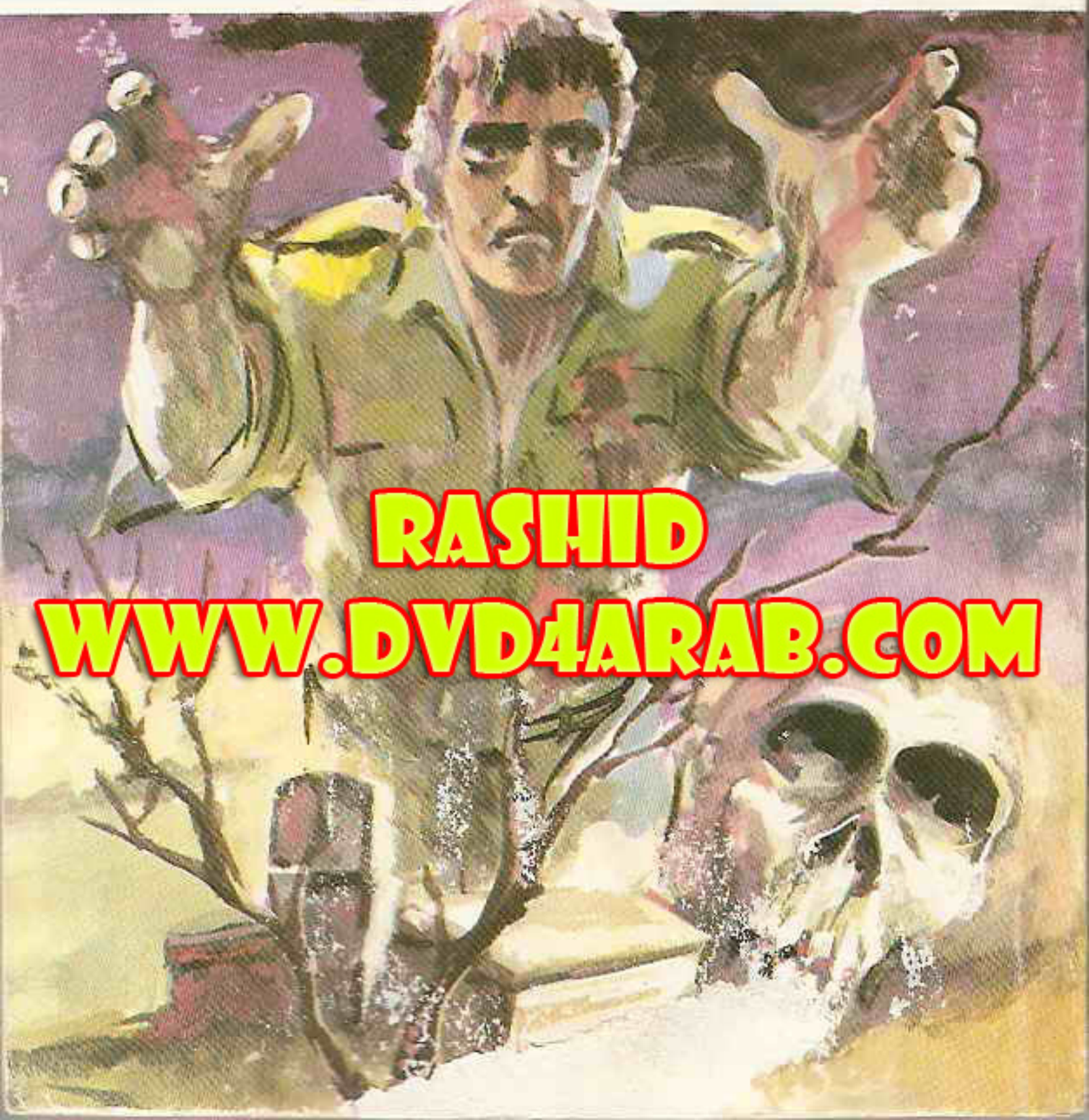

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

١ ــ خيانة ..

اشتدَّ قصف القنابل ، التى انهمرت كالمطر ، على خُطُوط الجيش المصرى المنكوب ، فى حرب يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، وراح ضباط وجنود الجيش ينسحبون إلى الخطوط الخلفية ، فى واحدة من أشدِّ النكسات الحربية إيلامًا ، فى تاريخ (مصر) ، وسط بحر من دماء الضحايا ، وعشرات القتلى والمصابين ..

وفى خِضَمِّ كل هذا ، ووسط أنين مئات الجرحى ، انهمك ثلاثة رجال ، يرتدُون زِىَّ جنودنا ، فى نقل عدة صناديق صغيرة ، إلى سيارة (جيب) ، والتوتُّر يرتسم على وجوههم فى شدَّة ، وقد خلَت وحدتهم العسكرية تقريبًا ، إلا منهم ، ومن عدد محدُود من الجرحى ، يلفظُون أنفاسهم الأخيرة ..

وفجأة ، دوَّى صوت صارم ، يقول :

ــ ماذا تفعلون ؟

ارتجف أحد الرجال الثلاثة ، وسقط منه الصندوق الذى يحمله ، وتسمَّر الثانى فى ذُعر ، على حين التفت الثالث إلى مصدر الصوت فى حِدَّة ، وتراجع فى دهشة ، هاتفًا :

ـ النقيب (عثمان) ؟!.. ماذا تفعل هنا ؟

أجابه ذلك الشاب الأسمر ، الذى يرتدى زيًا عسكريًا ، تميِّزه ثلاثة نجوم لامعة على كل من كتفيه ، والذى تنزف ذراعه اليسرى فى غزارة ، من جرَّاء إصابة شديدة ، بدت آلامها واضحة فى ملامحه :

ـ لقد عُدت ؛ لاستعادة تلك الأموال ، التى تسرقونها .

غمغم أحد الرجال الثلاثة فى توتُّر بالغ :

ـ نسرقها ؟!.. إننا نحاول إنقاذها فحسب .. أنت تعلم أن الإسرائيليين سيصلون إلى هنا ، بين ساعة وأخرى ، و.....

قاطعه الرجل الثانى ، هاتفًا فى شراسة :

ـ اسمع يا سيادة النقيب .. لا داعى للمحاورة والمداورة ، فالوقت لا يسمح بذلك .. لقد جئت أنت أيضًا لسرقة هذه الأموال .. أليس كذلك ؟

هتف النقيب (عثمان) فى غضب :

ـ ماذا تقول أيها الحقير ؟

أجابه الرجل فى شراسة :

ـ قلت لك إن الوقت لا يسمح بذلك .

ثم أشار إلى الصناديق ، مستطردًا فى توتُّر :

ـ هل تعلم كم تحوِى تلك الصناديق ؟.. إنها تحوِى مليونًا من الجنيهات .. إنها كل مرتبات جنود وضباط المنطقة ، ونحن فى حالة حرب .. بل نكسة رهيبة ، وسيحتلّ الإسرائيليون تلك الوحدة فى غضون ساعات ، ولقد لقِىَ الجميع حَتْفَهُم ، بقصف القنابل والمدافع ، ولم يَعُد هنا سوانا ، ومن السهل أن نقول إن الإسرائيليِّين قد استولَوْا على المبلغ ، مع احتلالهم للوحدة ، ولن يشكَّ أحدٌ فى قولنا ، أو يجد وسيلة لتنفيذه .

هتف النقيب (عثمان) فى استهجان :

ـ ولكنها خيانة .

أجابه الرجل فى حِدَّة :

ـ لا تتحدَّث عن الخيانة .. إنك تخون زوجتك فى كل مرَّة تبتعد فيها عنها .. إنك معتاد مثل هذه النقائص .

صاح النقيب (عثمان) فى غضب :

ـ لعنة الله عليك أيها الحقير !! خيانة زوجتى شىء ، وخيانة الوطن شىء آخر .. لقد هُزمنا .. ألا تدرك ما يَعْنِيه ذلك ؟ إنه يَعْنِى أننا قد أصبحنا فى أمسِّ الحاجة لكل قرش ، وسرقة مليون جنيه دفعة واحدة هى خيانة لا تُغتفر .

جفَّف الأوَّل عرقه فى ارتباك ، وهو يقول :

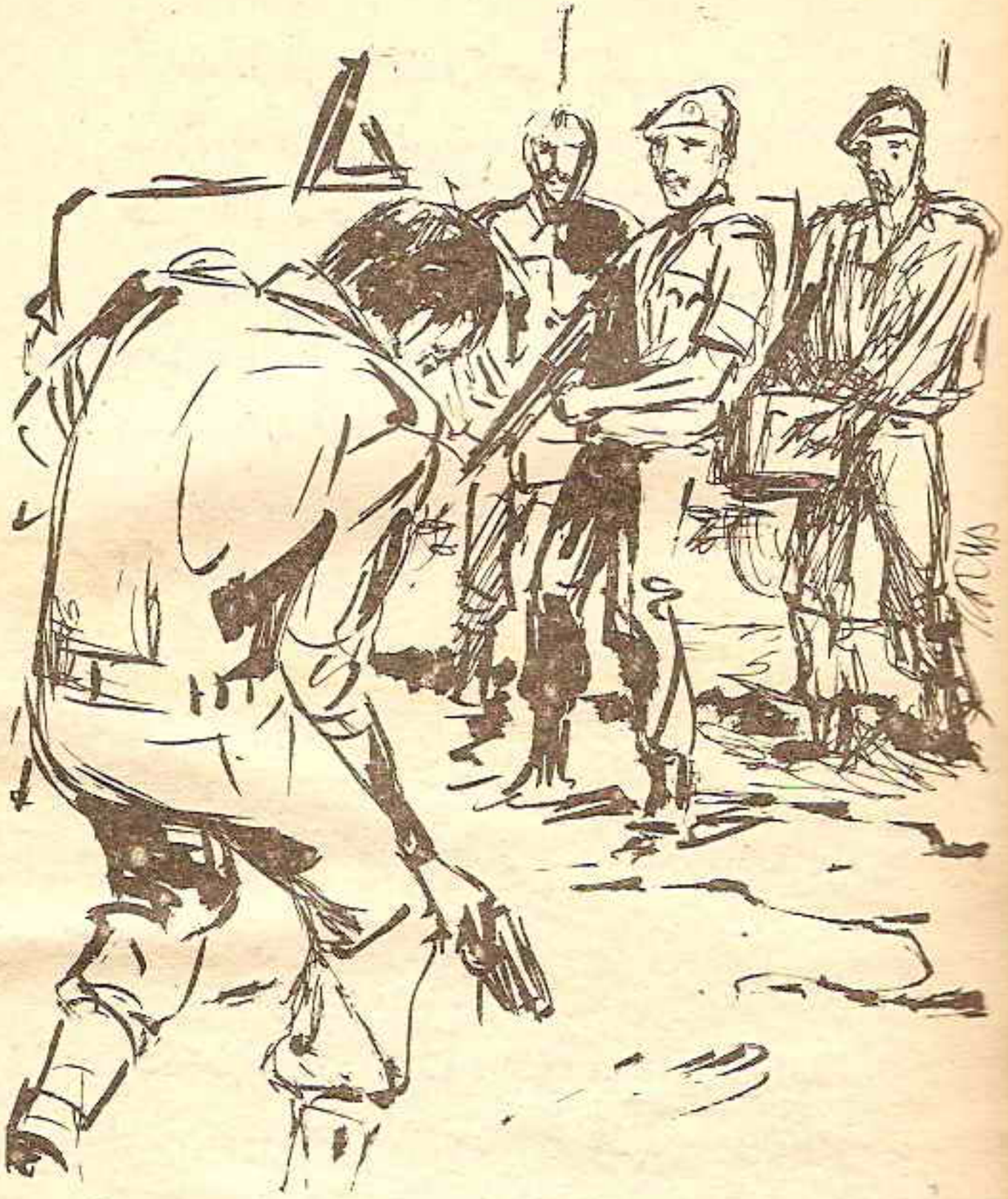

قبل أن يتمَّ النقيب (عثمان) عبارته ، ارتفعت فُوَّهة مدفع الرجل الثانى نحو صدره ، وانطلقت منها عشرات الرصاصات ..

ــ الوقت يمضى بسرعة يا سيادة النقيب ، ولابدَّ لنا من أن نبادر بالابتعاد عن هنا ، قبل أن يداهمنا الإسرائيليون ، فنخسر كل شىء .. إننا سنمنحك نصيبًا متساويًا .. أى ربع مليون جنيه دفعة واحدة .. ما رأيك ؟

ارتسم مزيج من الغضب والصرامة ، على وجه النقيب (عثمان) ، ورفع مسدَّسه فى وجوه الرجال الثلاثة ، وهو يقول فى حزم :

ــ رأيى أن أحدًا منّا لن يحصل على قرش واحد .. سنتعاون فى نقل ماتبقى من المبلغ إلى (الجيب) ، وبعدها سننطلق إلى أقرب وحدة ، ونسلِّم المبلغ كله للقيادة .

هتف الرجل الثانى فى عصبيَّة :

ــ مُحَال .

صاح النقيب (عثمان) فى صرامة :

ــ عليك بطاعة الأوامر أيها الجندى ، وإلا طالبت بإعدامك ، بتهمة الخيانة الـ .....

قبل أن يتمَّ النقيب (عثمان) عبارته ، ارتفعت فُوَّهة مدفع الرجل الثانى نحو صدره ، وانطلقت منها عشرات الرصاصات ، فجحظت عينا (عثمان) فى ألم وذُهُول ، ثم سقط جثة هامدة ..

وتراجع الرجل الثالث فى ذُعر ، وهو يهتف :

ــ ماذا فعلت أيها المجنون ؟.. لقد قتلته !

خفض الثانى فُوَّهة مدفعه الرشاش ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لن يصنع موته فارقًا كبيرًا .. إنها حرب شعْـواء ، والوحدة تمتلئ بجثث عشرات القتلى .

غمغم الثالث فى ذُعر :

ــ ولكن .....

قاطعه الثانى فى صرامة :

ــ هيَّا .. لن نضيع الوقت فى مناقشة ذلك .. أسرعا بنقل ماتبقى من الصناديق داخل (الجيب) ، فلابدَّ لنا من الانطلاق من هنا بأقصى سرعة ..

وفى استسلام ، أطاعه الآخران ، وراح الثلاثة يتمُّـون عملهم ..

ويُوقِّعون على وثيقة خيانتهم ..

وبعد عشر دقائق تقريبًا ، انتهوا من نقل كل المبلغ إلى (الجيب) ، وانطلقوا بها مبتعدين عن الموقع ، مُخلِّفين وحدة عسكرية منهارة ، وجثة نقيب يدعى (عثمان سعيد) ..

* * *

٢ ــ الشَّبح ..

بدا ذلك الصباح ، من أوائل يونيو ، عام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين ، مشرقًا صحوًا ، يبعث النَّشوة والبهجـة فى القلوب ، مما جعل (زكى عبد الحميد) ، صاحب شركـة مقاولات النصر ، يستنشق الهواء فى عمق ، فى شُرفة مكتبه الفاخر ، ثم يبتسم ابتسامة ملأت وجهه كله ، وهو يتطلَّع فى ارتياح إلى تلك الحديقة الغنَّاء ، التى يطلّ عليها مكتبه ، قبل أن يفرك كفَّيه فى نشاط ، استعدادًا لبدء العمل ، ويجلس خلف مكتبه ، ويضغط زِرَّ جهاز الاتصال الداخلى ، الذى يُوصله بسكرتيرته الحسناء ، قائلًا فى مرح :

ــ صباح الخير ياآنسة (كوثر) .. ألديك بريد جيِّد ؟

أجابته سكرتيرته فى هدوء :

ــ نعم يا (زكى) بك .. أتريده الآن ؟

هتف فى نشاط :

ــ بالتأكيد ..

وجلس مسترخيًا فى مقعده الوثير ، حتى دلفت سكرتيرته إلى الحجرة ، فابتسم وهو يتطلّع إلى وجهها الجميل ، وهى تقدّم له ملف البريد ، وسألها فى هدوء :

ــ ماذا لدينا هذا الصباح ياثرى ؟

أجابته فى بساطة وآلية :

ــ هناك شيك من وزارة الرّى ، بمبلغ خمسة عشر ألفًا ، وآخر من وزارة التموين بعشرة آلاف ، وهناك خطاب من شركة النصر للسيارات .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ــ يالله من صباح جيّد !! من الواضح أن الأعمال تسير على مايرام .

لم تعلّق سكرتيرته على عبارته ، ربما لأنها ترى الأعمال على النحو نفسه ، منذ التحقت بالشركة ، أو لأن عبارته بدت لها تقليدية أكثر من اللازم ، أو بسبب ذلك الخطاب الصغير ، الذى التقطته فى نهاية البريد ، قائلة :

ــ وهناك خطاب صغير للغاية ، ويحوِى عبارة واحدة ، لم أفهم مائعْنِيه بالضبط !

ابتسم (زكى) ، وهو يقول ضاحكًا :

ــ لماذا ؟.. أيحوِى بعض الألغاز مثلًا ؟

ومدَّ يده يلتقط منها الخطاب ، وخفض عينيه إليه ، و.....

وفجأة ، خُيِّل لسكرتيرته أن دماء الحياة قد فارقته تمامًا ..

لقد تجمَّدت ابتسامته لحظة ، ثم ارتجفت ، مع شُحُوب وجهه الشديد النحيف ، وتلاشت مع جحوظ عينيه ، وهو يحدِّق فى كلمات الخطاب فى رُعب هائل ، جعل سكرتيرته (كوثر) تتراجع فى ذُعر ، وهى تهتف :

ــ ماذا .. ماذا هناك ؟

خُيِّل إليها أنها تتطلّع إلى جثة حيَّة ، عندما التفت إليها رئيسها بوجه أشبه بالشمع الأبيض ، واختنق صوته فى حلقه لحظات ، وهو يلوِّح فى وجهها بالخطاب ، قبل أن يهتف فى صوت شديد التحشرج :

ــ من أتى بهذا ؟

هزَّت رأسها فى خوف ، وهى تهتف :

ــ لست أدرى ياسيِّدى .. لقد وجدته على مكتبى هذا الصباح ..

ازداد جُحُوظ عينيه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ على مكتبك ؟

تجمدَّت نظراته تمامًا ، وشردت فى شدَّة ، وخُيِّل إليه أنه يعود بالزمن واحدًا وعشرين عامًا إلى الوراء ، ويسمع قصف القنابل ، وأنين الجرحَى ، فانتزع نفسه من كل هذا انتزاعًا ، وهَبَّ من خلف مكتبه ، صائحًا فى هَلَع :

ــ سأنصرف .. أخبرى كل من يسأل عنِّى أننى قد سافرت إلى الخارج .. وأننى لن أعود قبل عام كامل ..

قال هذا واندفع مغادرًا شركته كالمجنون ، تاركًا إيَّاها خلفه فى ذُهُول ، وهى تردِّد فى جَزَع :

ــ ماذا حدث ؟.. ماذا حدث ؟.. إنه يبدو كمن رأى شبحًا ..

ولم تدرِ لحظتها كم كان قولها صحيحًا ..

لقد رأى رئيسها شبحًا ..

* * *

اندفع (زكى عبد الحميد) ، داخل منزل (جابر القرشى) ، صاحب مصنع الحلوَى الشهير ، وهو يلوِّح بالخطاب الصغير ، هاتفًا فى انفعال :

ــ (جابر) .. لقد حدث أمر فظيع !! فظيع !!

أجابه (جابر) فى اضطراب واضح :

ــ أعلم ذلك يا (زكى) .. أعلم ذلك .

حدَّق (زكى) فى وجهه بدهشة ، وهو يهتف :

ــ تعلم ذلك ؟!.. ما الذى تعلمه ؟.. إن ما سأخبرك به أقرب إلى المستحيل بعينه .

عاد (جابر) يقول فى توتُّر :

ــ نعم يا (زكى) .. أعلم ذلك .

كاد (زكى) ينفجر فى وجهه ثائرًا ، لولا أن أشار إلى داخل المنزل ، مستطردًا :

(مختار) بالداخل .

اتسعت عينا (زكى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ (مختار) ؟!.. ما الذى أتى به ؟

أجابه (جابر) فى توتُّر :

ــ نفس الذى أتى بك .. يبدو أننا قد تسلَّمنا الخطاب نفسه .

تراجع (زكى) كالمصعُوق ، وامتقع وجهه فى شدَّة ، وهو يقول بصوت متحشرج مبحُوح :

ــ الخطاب نفسه ؟!.. هل ..... ؟

أجابه (جابر) :

ـــ نعم .. إنه يحمل توقيعه .

ثم أخرج من جيب روبه المنزلى خطابًا مشابهًا ، فرده أمام عينى (زكى) ، اللّتين عادتا تجحظان ، وهو يقرأ نفس الكلمات ، التى احتواها خطابه :

ـــ لقد عُدت ..

مع توقيع النقيب (عثمان سعيد) ..

وانهار (زكى) على أقرب مقعد له ، ودفن وجهه فى راحتيه ، وهو يردِّد فى رُعب هائل :

ـــ إذن فهذا صحيح .. لقد عاد .. عاد لينتقم منّا .

أجابه صوت صارم غاضب :

ـــ لاأحد يعُود من عالم الموتى .

رفع (جابر) عينيه فى حِدَّة ، وقال فى توتُّر وانفعال :

ـــ إذن فهو أنت يا (مختار) .. مرحَى يارفاق .. إننا لم نعُد نلتقِى إلا فى المصائب والنكبات .. أليس كذلك ؟.. أليس هذا صحيحًا ؟

أجابه (مختار شوقى) ، رجل الأعمال المعروف ، فى صرامة :

ـــ اهدأ يارجل ، واصمت لنناقش الأمر فى هدوء .

هتف (زكى) بأعصاب منهارة :

ـــ أى أمر نناقش ؟.. وأى هدوء تطلبه ؟!.. ألم تفهم مايعنيه هذا الخطاب ؟.. لقد عاد (عثمان سعيد) من قبره .. عاد لينتقم مما فعلناه به .. إنه سيقتلنا .. هل تفهم ؟.. سيقتلنا .

أجابه (مختار) فى صرامة :

ـــ قُلت لك اهدأ .

ثم زفر فى قوة ، كشفت عن ذلك التوتُّر فى أعماقه ، والذى يحاول إخفاءه خلف ذلك القناع الصارم ، قبل أن يستطرد :

ـــ فى الأمر خُدعة ولا شك .

غمغم (جابر) فى اضطراب شديد :

ـــ أيَّة خُدعة يا (مختار) ؟.. لاأحد يعلم بما فعلناه سوانا ، وسوى (عثمان سعيد) ، الذى قتلناه ، منذ واحد وعشرين عامًا ، مَنْ إذن يمكنه أن يرسل إلينا تلك الخطابات .

أجابه (مختار) فى عصبيَّة :

ـــ أى شخص .

هتف به (زكى) فى انفعال :

ـــ مثل من ؟

لم يجر (مختار) جوابًا ، فعاد (زكى) يهتف فى هلع :

ـــ إنه هو .. لقد عاد .. أو هو شبحه .

لوَّح (مختار) بذراعه ، هاتفًا فى توتُّر :

ـــ هذا مستحيل .

ثم مال نحو زميليه ، مستطردًا :

ـــ وماذا لو أنه شخص آخر ، رأى ما فعلناه ، ويحاول اليوم ابتزازنا ، عن طريق إرهابنا ؟

أجابه (جابر) فى حِدَّة :

ـــ ولماذا ينتظر هذا الشخص مايزيد على عقدين من الزمان ، ليبتزّنا ؟..

غمغم فى توتُّر :

ـــ ربَّما لأنه .....

بتر عبارته ، عندما بدت له كل الأجوبة غير مُقنعة ، ثم عاد يقول فى حِدَّة :

ـــ ومن أدرانا أن هذا هو خط (عثمان سعيد) ؟

رَانَ على ثلاثتهم الصمت لحظة ، ثم قال (جابر) فى حزم :

ـــ أنا يمكننى التيقُّن من ذلك .

هتف به (زكى) فى انفعال :

ـــ كيف ؟

أجابه فى توتُّر :

ـــ لقد احتفظت ، طِيلَة الأعوام السابقة ، بتصريح إجازة ، منحنى إيَّاه النقيب (عثمانّ) ، قبيل نكسة يونيو بيوم واحد ، ولقد كتبه بخطِّه حينذاك .

وأسرع إلى حجرته ، وعاد بعد لحظات ، حاملًا ورقة قديمة ، وضعها أمام رفيقيه ، فأسرع (زكى) يضع الخطاب الذى وصله إلى جوارها ، ومال الثلاثة يقارنُون بين الخطَّين ، قبل أن يتراجع (زكى) فى شُحُوب رهيب ، مغمغمًا فى رُعب لامثيل له :

ـــ لقد عاد .. لقد عاد ..

فقد كان الخطَّان متماثلين تمامًا ، على الرغم من أن أحدهما خطَّ رجل حىّ ، والآخر على العكس ..

خطُّ شبح ..

* * *

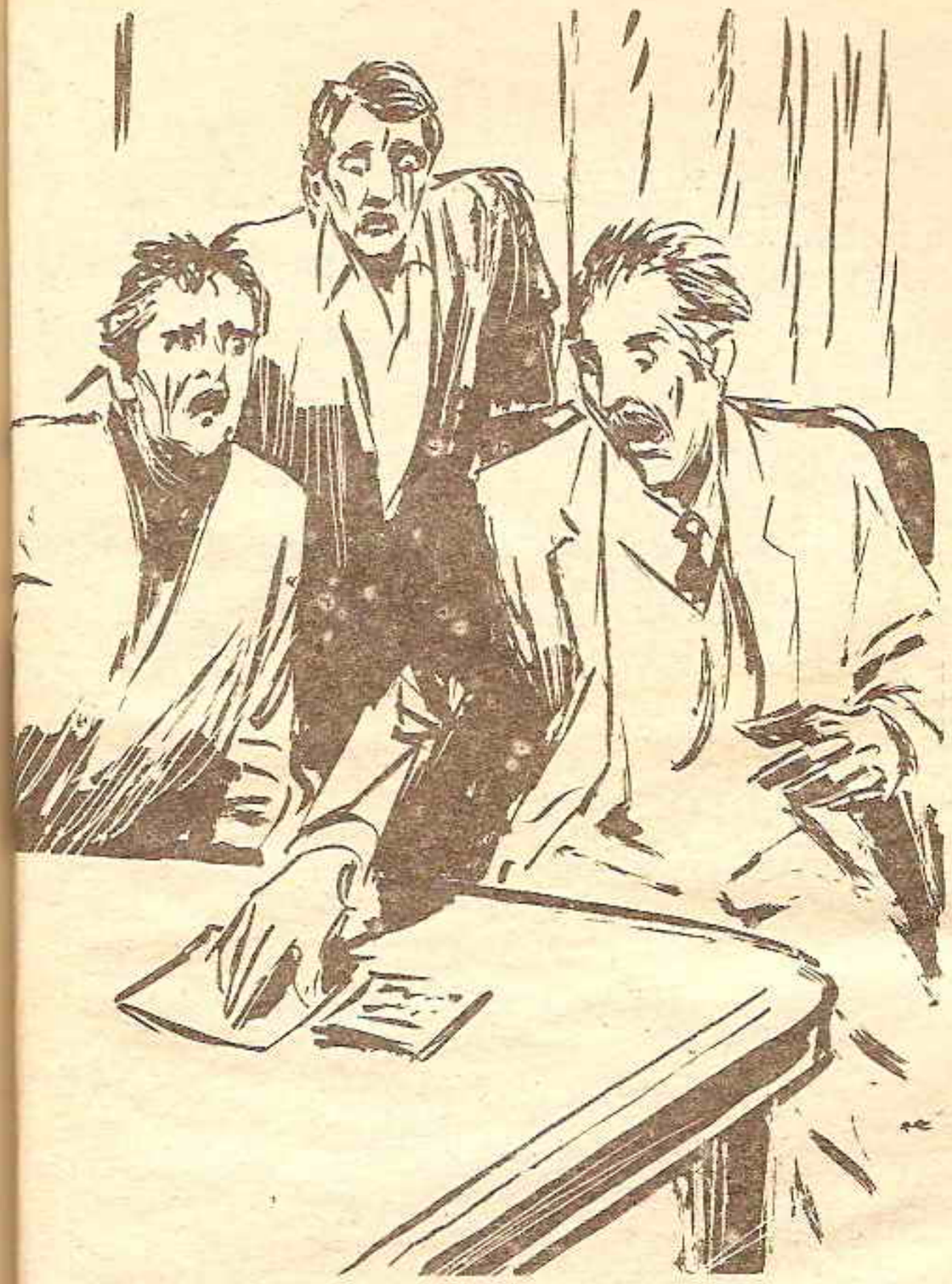

ومال الثلاثة يقارنون بين الخطَّين ، قبل أن يتراجع (زكى) فى شُحُوب رهيب ..

٣ ــ الانتقام الأوَّل ..

عندما غادر (زكى) و (مختار) منزل (جابر) ، كان الأوَّل شديد الشُّحُوب ، يرتجف على نحو واضح ، مما جعل الثانى يقول فى حِدَّة :

ــ ماذا أصابك ؟.. إنك لم تكن جبانًا هكذا ، منذ عشرين عامًا .

أجابه (زكى) فى شُحُوب :

ــ لقد كنت آنذاك فى الخامسة والعشرين ، أكثر شبابًا وقوة ..

أضاف (مختار) فى حِدَّة :

ــ وفقرًا .

حَدَجه (زكى) بنظرة ملتاعة ، ثم ردَّد فى انهيار :

ــ ليتنى ظللت كذلك .. إننى أتمنَّى اليوم لو أننا لم نسرق تلك الأموال اللعينة ، ولم نقتل ذلك النقيب ، و.....

قاطعه (مختار) فى حِدَّة :

ـــ أكنت تتمنَّى لو ظللت أيضًا مجرَّد مقاول أنفار ، كما كنت قبل أن تحصل على ذلك المبلغ ؟!.. أنسيت أن ثلث مليون جنيه ، قد قفزت بك دفعة واحدة إلى عالم الأثرياء ، وجعلتك ممن يشار إليهم بالبَنان فى المجتمع .

هتف (زكى) فى توتُّر :

ـــ وجعلتنى أيضًا هدفًا لانتقام شبح .

عقد (مختار) حاجبيه فى شدَّة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هل تصدِّق ذلك ؟

أجابه (زكى) فى توتُّر :

ـــ ولِمَ لا .. ألمْ تَرَ الخط والخطابات ؟

ارتسمت على شفتى (مختار) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـــ هذا بالضبط ما أردت التحدُّث إليك بشأنه .

حَدَجَه (زكى) بنظرة حائرة ، قبل أن يسأله :

ـــ ما هذا بالضبط ؟

مال (مختار) نحوه ، قائلًا فى ثقة :

ـــ لقد تأكدت من أن الأمر كله مجرَّد خُدعة .

هتف (زكى) فى دهشة :

ـــ تأكَّدت ؟!

أومأ (مختار) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ نعم .. خُدعة أعَدَّها شخص يعلم كل ما فعلناه .

وأخرج عُلبة سجائره من جيبه ، والتقط منها سيجارة ، دسَّها بين شفتيه ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ـــ شخص يتقمَّص شخصية شبح ..

* * *

بقِىَ (جابر القرشى) فى منزله وحده ، بعد انصراف (زكى) و (مختار) ، وبدا شديد التوتُّر ، وهو ينقر على سطح مكتبه بأصابعه ، ثم أخرج الخطاب وتصريح الإجازة من جيبه ، ووضعهما أمامه ، وراح ينقِّل بصره بين الخطَّين فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن التقط الخطاب وحده ، وأضاء المصباح الأنيق ، الموضوع فوق مكتبه ، وأدنى منه الخطاب ، وراح يتمعَّنه فى اهتمام ..

كان الخطاب عبارة عن صورة لعبارة محدودة ، وكأن مَن كتب الخطاب قد كتب عبارته على ورقة بيضاء ، وأضاف إليها توقيعه ، ثم قام بتصوير الورقة ثلاث مرَّات ، بواسطة آلات التصوير المنتشرة فى كل المكتبات ، وأرسل لكل واحد من الثلاثة صورة منها ، أما المظروف ، الذى كان يحوِى الخطاب ، فكان خاليًا من أيَّة كلمات أو خُطُوط ..

وانعقد حاجبا (جابر) ، وتراجع فى مقعده ، وأغلق عينيه ، وراح يتساءل فى اهتمام :

ــ ماذا يفعل (زكى)و (مختار) الآن ياتُرَى ؟.

★ ★ ★

ارتجفت أصابع (زكى) فى شدَّة ، حتى أنه قد عجز تمامًا عن إشعال سيجارته بقدَاحته ، إلى أن انحنى (مختار) نحوه ، وأشعلها له ، قائلًا :

ــ اهدأ يارجل .. لقد شرحت لك كل شىء .

غمغم (زكى) فى اضطراب شديد :

ــ أأنت واثق من ذلك يا (مختار) ؟

لوَّح (مختار) بكفِّه ، وهو يقول فى حزم :

ــ تمام الثقة .

ثم عاد يستطرد فى اهتمام :

ــ راجع معى كل شىء ، وستجد أننى على حقٍّ .. من يعرف مافعلناه ؟.. إنه نحن الثلاثة ، و(عثمان سعيد) ، فقط .. ولقد سقط ذلك الأخير صريعًا أمام عيوننا ، ولم يكن هناك مخلوق غيرنا فى الوحدة كلها ، على قَيْدِ الحياة ، فمن يتبقَّى إذن ؟

غمغم (زكى) فى توتُّر :

ــ نحن الثلاثة .

ابتسم (مختار) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ عظيم .. أنت تعلم أن أحوالى المالية رائجة للغاية ، وأن أحوالك المالية كذلك أيضًا ، فماذا عن (جابر) ؟

تردَّد (زكى) لحظة ، ثم غمغم :

ــ لايمكننى الجزم .

ابتسم (مختار) فى ثقة ، وتراجع فى مقعده ، وضغط زِرّ جهاز الاتصال المجاور له ، فدلف إلى حجرته على الفور شاب ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، كما لو كان يقف بالخارج ؛ متأهِّبًا للدخول ، ووقف أمامه فى احترام شديد ، حتى بادره (مختار) ، قائلًا :

ــ إلى ماذا أوصلتك تحرِّياتك ، بشأن موقف (جابر القرشى) المالى يا (هانى) .

أجابه (هانى) فى حزم :

ــ إنه يُعانى أزمة مالية ، منذ حوالى شهرين ، بعد أن صادرت الحكومة شحنتين ضخمتين ، قام باستيرادهما من الخارج ، واتضح أنهما ملوَّثتان بالإشعاعات .

ابتسم (مختار) فى دهاء ، وهو يلتفت إلى (زكى) ، قائلًا :

ـــ ألَمْ أقُل لك ؟

ثم أشار إلى (هانى) بالانصراف ، فانصرف على الفور ، وأغلق باب المكتب خلفه ، وغمغم (زكى) فى توتُّر :

ـــ أتَعْنِى أن (جابر) هو الذى ابتدع كل هذه القصة ، حتى يبتزّ أموالنا ، ويعوِّض خسارته ، ليجتاز تلك الأزمة المالية ؟

اتسعت ابتسامة (مختار) ، وهو يقول :

ـــ بالضبط .

بدت علامات الشَّك ، وعدم التصديق ، على وجه (زكى) ، وهو يغمغم :

ـــ ولكن ماذا عن الخطّ ؟.. إنه يُشبه خطّ (عثمان سعيد) تمامًا .

قال (مختار) فى سُخرية :

ـــ من قال ذلك ؟

هتف (زكى) :

ـــ (جابر) .. ألَمْ .....؟

بتر عبارته بغتة ، عندما أدرك مايَعْنِيه (مختار) ، الذى ابتسم فى سُخرية ، قائلًا :

ـــ أرأيت ؟!.. الدليل الوحيد ، على كَوْنِ الخطّ هو خطُّ (عثمان سعيد) ، هو شهادة (جابر) وورقته ، ثم هل تصدّق أنه قد احتفظ بذلك التصريح ، طَوَال كل هذه الأعوام ؟.. لقد كنّا نتخلَّص من كل مايربطنا بـ (عثمان سعيد) .. أليس كذلك ؟

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا فى ذُهُول ، وهو يغمغم :

ـــ بلَى .

ثم انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يستطرد :

ـــ ذلك الحقير .. كم أتمنَّى لو.....

قاطعه (مختار) فى هدوء :

ـــ اترك لى ذلك .. أنا سأعمل على تأديبه .

هتف (زكى) فى توتُّر :

ـــ هل ستقتله ؟

عقد (مختار) حاجبيه ، وهو يهتف باستنكار :

ـــ كلَّا بالطبع .. الأمر لايستحق ذلك .

ثم عاد يتسم ابتسامة غامضة خبيثة ، وهو يستطرد :

ـــ ولكننى سأجعله يندم على فعلته هذه .. يندم تمامًا ..

* * *

أشعل (جابر القرشى) سيجارته ، ونفث دُخانها فى عمق ، وهو يتطلّع عَبْر نافذة منزله ، وسمع صوت خادمته من خلفه ، تقول :

ـــ لقد أعددت حقائبك ياسيدّى .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال دون أن يلتفت إليها :

ـــ اذهبى إذن .. سأتغيَّب عشرة أيام ، اطلبى من السائق أن ينتظرنى أسفل البناية .. سأجرى بضع مكالمات هاتفية ، وأهبط إليه ..

أجابته فى هدوء :

ـــ كما تأمر ياسيدّى .

وغادرت المنزل ؛ لتنفّذ أوامره ، على حين بقِىَ هو واقفًا أمام النافذة ، ينفث دُخان سيجارته ، قبل أن يغمغم فى توتُّر :

ـــ ياإلٰهـــى !!.. مـــن يصدّق ذلك ؟!.. (عثمان سعيد) ؟!.. أيمكن أن يعود بعد واحد وعشرين عامًا .

هزّ رأسه فى حَيْرَة ، ودسّ الخطاب وتصريح الإجازة فى جيبه ، ثم استدار إلى داخل الحجرة ..

وفجأة ، انتفض جسده فى قوة ، وتراجع فى رُعب ، وجحظت عيناه فى شدّة ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، واحتبس صوته فى حلقه لحظة ، قبل أن ينفجر صارخًا فى رُعب هائل :

ـــ كلّا .. كلّا .. هذا مستحيل !.. مستحيل !

فأمامه تمامًا كان يقف الشبح ..

شبح ضحيته ..

شبح (عثمان سعيد) ..

* * *

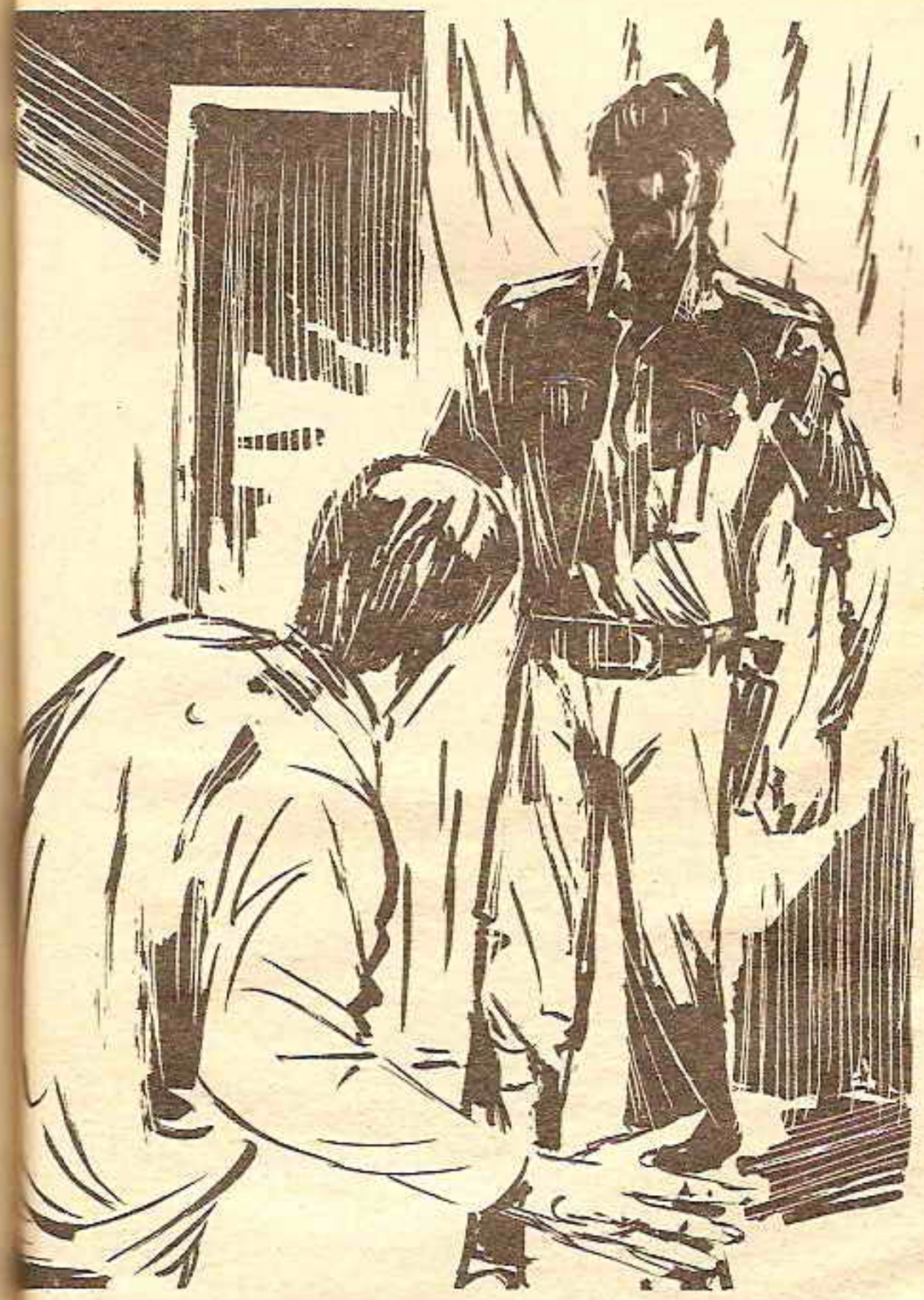

فأمامه تمامًا كان يقف الشبح ــ شبح ضحيته ــ شبح (عثمان سعيد) ..

٤ ــ الحمــاية ..

شعر (عصام) بمزيج من الخوف والتوتُّر والاشمئزاز ، وهو يلتقط صور جثة (جابر القرشىّ) ، الذى سقط من نافذة حجرة نومه إلى الشارع ، من ارتفاع عشرة طوابق ..

ولقد التفَّ رجال المعمل الجنائى والشرطة والإسعاف حول الجثة ، يفحصون كل سنتيمتر بها ، ويستجوبُون خادمة القتيل ، وسائق سيارته ، وجيرانه ، ويحملون جثته إلى سيارة الإسعاف ، ويبعدون المارَّة ، حتى زفر أحدهم فى توتُّر ، وهو يقول :

ــ ياإلٰهى !!.. كم أشعر بالتوتُّر ، فى هذا الحادث !

سأله (عصام) :

ــ أهِىَ أوَّل حادثة قتل لك ؟؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. لقد شاهدت عشرات الحوادث ، ومنها ماهو أبشع من ذلك كثيرًا ، ولكن .....

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى صوت خافت :

ـــ ولكننى لم أشاهد أبدًا مثل ذلك الرُّعب ، الذى ارتسم على وجه هذا القتيل .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ الرُّعب ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وعاد يزفر فى عمق ، قبل أن يغمغم :

ـــ نعم .. لقد انحفر الرُّعب على وجهه ، كما لو كان قد واجه قبل مصرعه شبحًا رهيبًا ، أو الشيطان نفسه .

تمتم (عصام) :

ـــ يا إلٰهى !!

ثم استطرد فى اهتمام :

ـــ أتعلم ؟.. لقد أثرت اهتمامى بهذه القضية بالفعل .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـــ أظنّها تستحق ذلك ، فهذا الرجل يبدو كما لو أنه لم يَمُت من السقوط ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى صوت مرتجف :

ـــ بل من شدَّة الرُّعب .

* * *

تنهدَّ العقيد (خيرى) فى ضَجَر ، ولوَّح بكفِّه فى استهجان ، وهو يقول لـ (عصام) :

ـــ أى رُعب وأى لُغز يا (عصام) ؟.. ليس من الضرورى أن ينطوِىَ كل حادث تتولَّى تحقيقه على لُغز غامض ، يضيف إلى أمجادك مجدًا جديدًا .. لقد أكَّدت تحرِّياتنا أن الحادث مجرَّد انتحار على الأرجح ، فالرجل بلا أعداء ، ولقد خسر منذ أيام صفقة ضخمة ، تكاد تُفلسه ، ومن الممكن أن يُقدم مثل هذا الرجل على الانتحار .

قال (عصام) فى حِدَّة :

ـــ لماذا طلب من خادمته إعداد حقائبه إذن ؟.. أكان ينوِى حملها معه إلى الجحيم ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـــ لا تنسَ أن الخادمة قد أضافت أيضًا ، أنه أخبرها بعزمه على إجراء بضع مكالمات هاتفيَّة ، قبل أن ينصرف ، ولعل إحداها أفقدته أملًا كان يتعلَّق به ، فأقدم على الانتحار .

قال (عصام) فى عِناد :

ـــ لماذا قفز عَبْرَ زجاج النافذة ، وعمل على تحطيمه إذن ؟.. لِمَ لَمْ يفتح النافذة ، ويقفز منها ، مثلما يفعل أى منتحر ؟

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ هذا ماسيقرِّره رجال المعمل الجنائى .

صمت (عصام) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـــ صدقت ..

ونهض من مقعده فى حزم ، فسأله العقيد (خيرى) :

ـــ إلى أين ؟

أجابه فى حدَّة :

ـــ إلى حيث أجد بعض الأجوبة .

وأضاف ، وهو يتجه نحو الباب فى سُخط :

ـــ إلى مشرحة زينهم .

★ ★ ★

عقد الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى الشاب ، حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول لـ (عصام) فى عصبيَّة :

ـــ اسمع يا (عصام) .. إنك تُسرف كثيرًا فى استغلال صداقتى لك .. إنك تطالب دَوْمًا بنتائج العمل ، قبل أن يعلم بها رجال الشرطة .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ وماذنبى أنا ياصديقى ، لو أنهم يتباطئون ؟.. إننى صحفى نشيط ، أسعى دَوْمًا خلف كل سَبْق .

تنهَّد الدكتور (على) فى استسلام ، وهو يقول :

ـــ حسنًا يا (عصام) ، ماالذى تريد معرفته ؟

أجابه (عصام) فى شَغف :

ـــ سبب الوفاة .

عقد الدكتور (على) حاجبيه ، وكأنما لم يكن يتوقَّع هذا المطلب المباشر ، وأجاب فى تردُّد :

ـــ فقط ؟!.. حسنًا .. إنها صدمة عصبيَّة .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ أتَعْنِى أنه لم يَمُت بسبب ارتطامه بالأرض ؟

هزَّ الدكتور (على) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ بل مات قبلها بكثير .

هتف (عصام) :

ـــ من الرُّعب ؟

حدَّق الدكتور (على) فى وجهه بدهشة ، ثم هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـــ بالطبع .

ثم أضاف ، قبل أن يلقِى عليه (عصام) سؤالًا آخر :

ـــ هذا يحدث فى كثير من الأحيان ، فالسُّقوط من علٍ مُفزع بحق .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لست أظن أن السقوط كان سبب الرُّعب ، بل أنا واثق من أن العكس هو الصحيح .

سأله الدكتور (على) فى حَيْرَة :

ــ ماذا تَعْنِى ؟

أجابه فى حزم :

ــ أعْنِى أن الرُّعب كان هو سبب السُّقوط .

غمغم الدكتور (على) :

ــ لَمْ أفهم بعد .

مال (عصام) نحوه ، وقال فى اهتمام :

ــ نافذة الحجرة المحطَّمة تقول إن (جابر القرشى) قد شاهد شيئًا ما ، أفزعه إلى حَدِّ الرُّعب ، فتراجع فى حِدَّة ، جعلته يرتطم بزجاج النافذة ، فيحطِّمه ، ويهوى من حالقٍ ..

مطَّ الدكتور (على) شفتيه ، قائلًا :

ــ من الناحية الرسمية ، لايمكننى أنأؤيد قولك ، طالما لاأملك دليلًا علميًا أو تشريحيًا عليه ، ولكن من الناحية غير الرسمية ، أجد لدىَّ مايؤيِّد منطقك فى شدَّة .

سأله (عصام) فى لهفة :

ــ ماهذا ؟

تناول الدكتور (على) كيسًا من النايلون ، يحوِى ورقتين ، وأدناه من وجه (عصام) ، قائلًا :

ــ انظر ، لقد عثرنا على هذين ، فى جيب القتيل ، إحداها صورة لخطاب ، والأخرى تصريح إجازة قديم .. انظر كلمات الخطاب .

قرأ (عصام) على الصورة تلك العبارة المقتضبة :

ــ لقد عُدت .

وأسفلها توقيع (عثمان سعيد) ، فسأل الدكتور (على) فى دهشة :

ــ ماذا يَعْنِى هذا ؟

عاد الدكتور (على) يمطُّ شفتيه ، مغمغمًا :

ــ لست أدرى ، ولكن ذلك يبدو لى أشبه بتهديد .. تهديد بالقتل .

* * *

عندما عاد (عصام) إلى مكتبه بالجريدة ، كان يبدو شديد الشُّرود والوجُوم ، حتى أن أحدًا من زملائه لم يحاول أن يبدأ معه أيَّة أحاديث ، أو يناقشه فى أى أمر من الأمور ، إلى أن غمغم رئيسه :

ـــ ماذا هناك ؟

التفت إليه (عصام) فى شرود ، مُغمغمًا :

ـــ ماذا ؟.

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

ـــ كنت أسألك ماذا بك ؟

هزَّ (عصام) رأسه ، وهو يقول :

ـــ لاشىء ياسيدى .. إننى أفكِّر فى أمرٍ ما .

عقد رئيسه حاجبيه ، قائلًا :

ـــ أهُوَ أمر يتعلَّق بذلك الحادث ، الذى خرجت لتغطيته ظهرًا ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، فعاد رئيسه يسأله فى لهفة :

ـــ أهِىَ جريمة قتل غامضة ؟

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى بعد .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى سمع صوتًا مضطربًا ، يقول :

ـــ أأنت الأستاذ (عصام كامل) ؟

رفع (عصام) عينيه إلى مصدر الصوت ، وتأمَّل زائره فى حَيْرَة ، قبل أن يقول :

ـــ نعم ياسيدى .. أنا (عصام) .. هل لنا أن نتعارف ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـــ اسمى (زكى) .. (زكى عبد الحميد) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يتفرَّس فى ملامح الرجل ، مغمغمًا :

ـــ (زكى عبد الحميد) ؟!.. أأنت صاحب شركة مقاولات النصر ؟

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا ، وقال فى ارتباك :

ـــ نعم .. هو أنا .

دعاه (عصام) إلى الجلوس ، وسأله فى اهتمام :

ـــ ماذا هناك ياسيدى (زكى) ؟

غمغم (زكى) فى اضطراب شديد :

ـــ إننى أحتاج إليك .

تراجع (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ إلَىَّ أنا ؟.. أهِىَ خدمة صحفيَّة ؟

تردَّد (زكى) لحظة ، ثم قال :

ـــ بل حماية .. إننى أحتاج إلى حمايتك لى .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ أنا ؟!

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا ، وتشبَّث بذراع (عصام) ، هاتفًا فى ضراعة :

ـــ أرجوك ياأستاذ (عصام) .. إننى أحتاج إلى حمايتك لى .. أنت الرجل الوحيد ، الذى يمكنه ذلك .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ يبدو أنك قد أخطأت هدفك ياسيِّد (زكى) ، فأنا مجرَّد صحفى ، ولست رجل شرطة ، أو حارس أمن .

عاد (زكى) يقول فى توسُّل :

ـــ أرجوك ياأستاذ (عصام) .. سأدفع لك أى مبلغ تطلبه .

هتف (عصام) :

ـــ ليس الأمر مشكلة مبالغ وأموال ياسيِّد (زكى) ، ولكنها ليست مهمَّتى .

بدا وكأن الرجل قد انهار تمامًا للرَّفض ، وهو يغمغم فى ضراعة :

ـــ أرجوك ياأستاذ (عصام) .. أرجوك .

زفر (عصام) فى قوة ، وبدا له مشهد الرجل مؤسفًا ، يدعو إلى الإشفاق ، فغمغم فى ضيق :

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا ، وتشبَّث بذراع (عصام) ، هاتفًا فى ضراعة : ـــ أرجوك يا أستاذ (عصام) .. إننى أحتاج إلى حمايتك لى ..

ـــ ومن أى شىء تطلب منّى أن أحميك ياسيّد (زكى) ؟

ارتجف صوت (زكى) ، وهو يقول :

ـــ من شبح .

هتف (عصام) فى دهشة بالغة :

ـــ شبح ؟!

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا فى انهيار ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. شبح (عثمان سعيد) .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف :

ـــ من ؟!

ثم مال نحو (زكى) ، مستطردًا فى انفعال :

ـــ قُلْ لى .. هل تعرف رجلًا يُدعى (جابر القرشى) ؟

شَحُب وجه (زكى) ، وهو يقول فى رُعب :

ـــ نعم .. كنت .. كنت أعرفه ، قبل .. قبل أن .....

أكمل (عصام) فى انفعال :

ـــ قبل أن يلقى مصرعه .. أليس كذلك ؟

أومأ (زكى) برأسه ، فى شُحُوب شديد ، فعاد (عصام) يسأله بمزيد من الانفعال والاهتمام :

ـــ وهل لطلب الحماية هذا علاقة بمصرع (جابر) ؟

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا مرّة أخرى ، ثم غمغم فى صوت شديد الخُفوت والارتياع :

ـــ إنه السبب الرئيسى لذلك .

اعتدل (عصام) ، وهو يحدّق فى وجه (زكى) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن غمغم فى حزم :

ـــ إننى أوافق على حمايتك ياأستاذ (زكى) .

كاد (زكى) يصرخ ارتياحًا ، لولا أن استدرك (عصام) فى حزم :

ـــ على شرط واحد .

سأله (زكى) فى توتُّر :

ـــ أى شرط ؟

اكتسب صوت (عصام) رنّة صارمة ، اختلطت بحزمه ، وهو يقول :

ـــ أن تخبرنى بالحقيقة كلها .. أيًا كانت .

امتقع وجه (زكى) فى شدّة ، وخفض عينيه ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـــ سأخبرك ياأستاذ (عصام) .. سأخبرك بالحقيقة كلها ..

* * *

٥ ــ البحــث ..

استمع (عصام) ، فى مزيج من الدهشة والاهتمام ، إلى كل كلمة نطق بها (زكى) ، وهما يجلسان فى بهو قيلًا هذا الأخير ، الذى راح يروِى الحقيقة كلها ، فى حالة من الانفعال والتوتُّر الشديدين ، حتى انتهى من روايته ، فَرَان الصمت التــام لحظات ، قبل أن يقول (عصام) :

ــ إذن فكل ثروتكم تعود إلى ذلك المبلغ ، الــذى سرقتموه من وحدتكم !!.. يالكم من أوغاد !..

غمغم (زكى) فى مرارة :

ــ لا داعى لتأنيبى ياأستاذ (عصام) ، أعصابى والموقف نفسه لايحتملان ذلك .

مطَّ (عصام) شفتيه فى ازدراء ، ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ــ أأنت واثق من أن أحدًا غيركم لا يعلم ما فعلتم ؟

أومأ (زكى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ باستثناء (عثمان سعيد) نفسه بالطبع .

قال (عصام) :

ــ ولكنكم قتلتموه .. أليس كذلك ؟

امتقع وجه (زكى) ، وهو يغمغم :

ــ بلَى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ أأنت واثق من موته ؟

سأله (زكى) فى دهشة :

ــ ماذا تَعْنِى ؟

أجابه (عصام) :

ــ أَعْنِى أليس من المحتمل أنه لم يَمُت ، وأنه قد وقع فى الأسر مثلًا .

اتسعت عينا (زكى) فى هلع ، ولوَّح بكفِّه ، مغمغمًا :

ــ لماذا انتظر كل هذه السنوات إذن ؟

بدا ذلك السؤال لـ (عصام) نقطة اعتراض قوية ، فعقد حاجبيه مفكِّرًا ، قبل أن يقول :

ــ يبدو أن الأمر يحتاج إلى بعض التحرِّيات أوَّلًا .

ورفع رأسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ينبغى أن أعلم أوّلًا ، ماإذا كنّا نقاتل رجلًا نجا من الموت ، أم شبحًا يسعى للانتقام ..

* * *

رفع الدكتور (على) عينيه عن مِجْهَره ، وناول خطاب (جابر) ، وتصريح إجازته إلى (عصام) ، قائلًا فى ثقة :

ـ مامن شكٍّ يا (عصام) .. لقد كُتِبَ الاثنان بخطٍّ واحد .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ وهل يعود توقيع تصريح الإجازة إلى عشرين عامًا بالفعل ؟

أومأ الدكتور (على) برأسه إيجابًا ، فعقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. هذا يَعْنِى أن (عثمان سعيد) هو كاتب الخطاب .

هزَّ الدكتور (على) كتفيه ، قائلًا :

ـ وربَّما لا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أشار الدكتور (على) إلى الخطاب ، قائلًا :

ـ لاحظ أن هذا الخطاب لم يكتب بخطِّ اليد ، وإنما هو صورة لخطٍّ يد (عثمان سعيد) ، ومن الممكن ، لو أن شخصًا يملك خطابًا لهذا الأخير ، أن يقصَّ من بين سطوره كلمة (لقد عُدت) ، ويقص توقيعه أيضًا ، ويلصقهما على ورقة بيضاء ، ويصوِّرهما ، فيحصل بذلك على مثل هذا الخطاب ، الذى نمسك به الآن .

وافقه (عصام) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن من يفعل ذلك ؟.. من المؤكَّد أنه لايوجد سوى (عثمان سعيد) فقط ، الذى يعلم بأمر سرقة الأموال ، باستثناء الرجال الثلاثة ، الذين سرقوها ، وهذا يَعْنِى أنه كاتب الخطاب .

عاد الدكتور (على) يهزُّ كتفيه ، قائلًا :

ـ أو أن أحدهم كاتبه .

عقد (عصام) حاجبيه ، قائلًا :

ـ هذا يَعْنِى أن كاتبه هو (مختار شوق) ، فلقد لقِىَ (جابر) مصرعه ، ولجأ إلَىَّ (زكى) ، وهو يُعانى رُعبًا هائلًا ، جعله يُدلى إلَىَّ بالحقيقة كلها ، فلم يبقَ إذن سوى (مختار) .

مطَّ الدكتور (على) شفتيه ، وقال :

ــ ربَّما .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يستطرد :

ــ هذا لو أن قصة (زكى) حقيقية .. أليس كذلك ؟

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) فى شدَّة ، وبدا شديد الحزم والصرامة ، وهو يقول :

ــ لن يمكن لأيهما خداعى ، أيًّا كانت الوسيلة ، فأنا أيضًا أملك بعض الوسائل المناسبة .

ثم نهض واقفًا ، وهو يُردف فى صلابة .

ــ إننى أعلم كيف وأين أجد تاريخ (عثمان سعيد) هذا .. كله .

* * *

عقد (عادل محمود) حاجبيه فى اهتمام ، وهو يستمع إلى (عصام) ، ثم سأله فى هدوء ، لَمْ يُخفِ شغفه الشديد بمعرفة التفاصيل :

ــ وما الذى يعنيك من رجل لقِىَ مصرعه ، منذ مايزيد على العقدين يا (عصام) ؟

هزَّ (عصام) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ــ إنه أمر يتعلَّق بتحقيق جديد .

ظلَّ (عادل) يتأمَّله لحظات فى صمت ، وكأنما يحاول أن يستشفَّ مايدور فى أعماقه ، قبل أن يبتسم ، قائلًا فى هدوء :

ــ حسنًا يا (عصام) .. لن أسألك المزيد .

وضغط زِرّ جهاز الاتصال فوق مكتبه ، وهو يقول فى حزم :

ــ أحضر لى قائمة بأسماء كل شهداء نكسة يونيو ، وكل أسْرَانا أيضًا .

لَمْ تمضِ ربع الساعة ، حتى كانت القائمتان فوق مكتبه ، فراح يطالع قائمة الأسْرَى فى اهتمام ، على حين راح (عصام) يراجع قائمة الشهداء فى سرعة ، إلى أن غمغم فى توتُّر :

ــ عجبًا !!.. اسم (عثمان سعيد) لم يَرِد هنا .

أجابه (عادل) فى دهشة :

ــ ولا هنا .

هتف (عصام) فى توتُّر :

ــ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟..

ابتسم (عادل محمود) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ربما لم يَمُت أو يأسره العدُوّ .. ربما أنه مايزال حيًّا .

ومضى هذا الاحتمال فى ذهن (عصام) ، وكأنما يحمل أحوبة كل الغموض ، فهتف فى لهفة :

ــ وكيف يُمكن معرفة ذلك ؟

اعتدل (عادل) ، قائلًا :

ــ دَعْ لى هذه المهمَّة .

ثم عاد يضغط زر جهاز الاتصال ، قائلًا :

ــ أريد قائمة بأسماء الناجين فى حرب يونيو ، وقائمة بالمفقودين حتى الآن .

والتفت إلى (عصام) ، وابتسم ، قائلًا :

ــ هذه واحدة من فوائد القوائم الروتينية .. أليس كذلك ؟

غمغم (عصام) :

ــ هذا صحيح ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ــ لو أننا نقاتل رجلًا على قَيْدِ الحياة .

* * *

« مفقود ؟!.. »..

نطق (زكى) بتلك الكلمة فى رُعب ، وتراجع وهو يستطرد فى هلع :

ــ هذا يَعْنِى أنه لم يَمُت .. أليس كذلك ؟

أجابه (عصام) فى توتُّر :

ــ أو أن أحدًا لم يتعرَّف جثته .

حدَّق (زكى) فى وجهه فى استنكار ، هاتفًا :

ــ ماذا تَعْنِى بأن أحدًا لم يتعرَّف جثته ؟.. أهو قتيل أم مفقود ؟

زفر (عصام) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ هناك جنود يختفون تمامًا بعد المعركة ، وآخرون يتشوَّهون على نحو بشع ، يستحيل معه تحديد هُوِيَّاتهم ، وهم من نطلق عليهم اسم (الجندى المجهول) ، وهؤلاء ، على الرغم من العثور عليهم ، يشاركون الأوائل فى قائمة واحدة ، يُطلق عليها اسم (قائمة المفقودين) .

تراجع (زكى) ، وهو يردِّد فى ارتياع :

ــ ولكنه لم يَمُت .. أنا واثق أنه لم يَمُت .. لقد عاد لينتقم .

هزَّ (عصام) رأسه ، قائلًا :

ــ ليس هناك مايؤكِّد ذلك بعد .. لقد أجريت بعض الاتصالات ، بمعاونة العقيد (عادل محمود) ، رئيس قسم

مكافحة التجسُّس ؛ بمباحث أمن الدولة ، ولو أنها أتت ثمارها ، فسنعرف هذا المساء بالتحديد ، ماذا أصاب (عثمان سعيد) ، خاصةً وقد حدَّدنا صفاته ، وإصابة ذراعه ، وطلقات الرصاص ، التى تلقَّاها فى صدره ، وموقع وحدته ..

عادل (زكى) يردِّد فى هلع :

ــ ولكنه حَىٌّ .. أنا واثق من ذلك .

نهض (عصام) ، وهو يقول :

ــ لاتثق تمام الثقة ياسيِّد (زكى) .. لم يَحِن وقت ذلك بعد .. سنلتقِى هذا المساء ، وعندئذ سيكون لدينا مانثق به .

أوصله (زكى) حتى باب الڤيلَّا الخارجى ، وقال لحارسه فى توتُّر ، بعد انصراف (عصام) :

ــ انتبه جيِّدًا .. لاتسمح لأى مخلوق بالدخول .. هل تفهم ؟

كان الحارس قد سئِم تلك العبارة ، التى يردِّدها مخدومه ، كلما وقع بصره عليه ؛ لذا فقد أومأ برأسه إيجابًا فى ضَجَر ، وغمغم :

ــ بالتأكيد ياسيدِّى .

عاد (زكى) إلى الڤيلَّا ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، وصعد إلى حجرته ، وهو يقول لخادمه فى صرامة :

ــ لاتسمح لأى مخلوق بمقابلتى ، سوى الأستاذ (عصام) الصحفى .. دَعْهُ يصعد إلى حجرتى فور حضوره .. هل تفهم ؟

أومأ الخادم برأسه إيجابًا ، وهو يتساءل فى دهشة عن سرِّ كل ذلك الرُّعب ، الذى يملأ قلب سيِّده ، فى الأيام الأخيرة ..

أمَّا (زكى) ، فقد دلف إلى حجرته ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام شديد ، ثم استدار ليتجه إلى فراشه ..

وفجأة ، تجمَّدت الدماء فى عروقه ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وتراجع فى ذُعر ، ليلتصق بباب الحجرة ، وقد انعقد لسانه ، وغُصَّ حلقه ، فلم يستطع النطق بحرف واحد ..

فهناك ، فوق فراشه ، كان يرقد رجل ..

رجل تلوَّث صدره بالدماء ..

وكاد قلب (زكى) يتوقَّف من شدة الرُّعب ، عندما نهض الرجل فى بطء ، واتسعت عينا (زكى) فى رُعب لامثيل له ، حتى كادتا تقفزان خارج جمجمته ، عندما اتضح له وجه الرجل الشاحب ..

لقد كان الضحية نفسها ..

كان (عثمان سعيد) ..

* * *

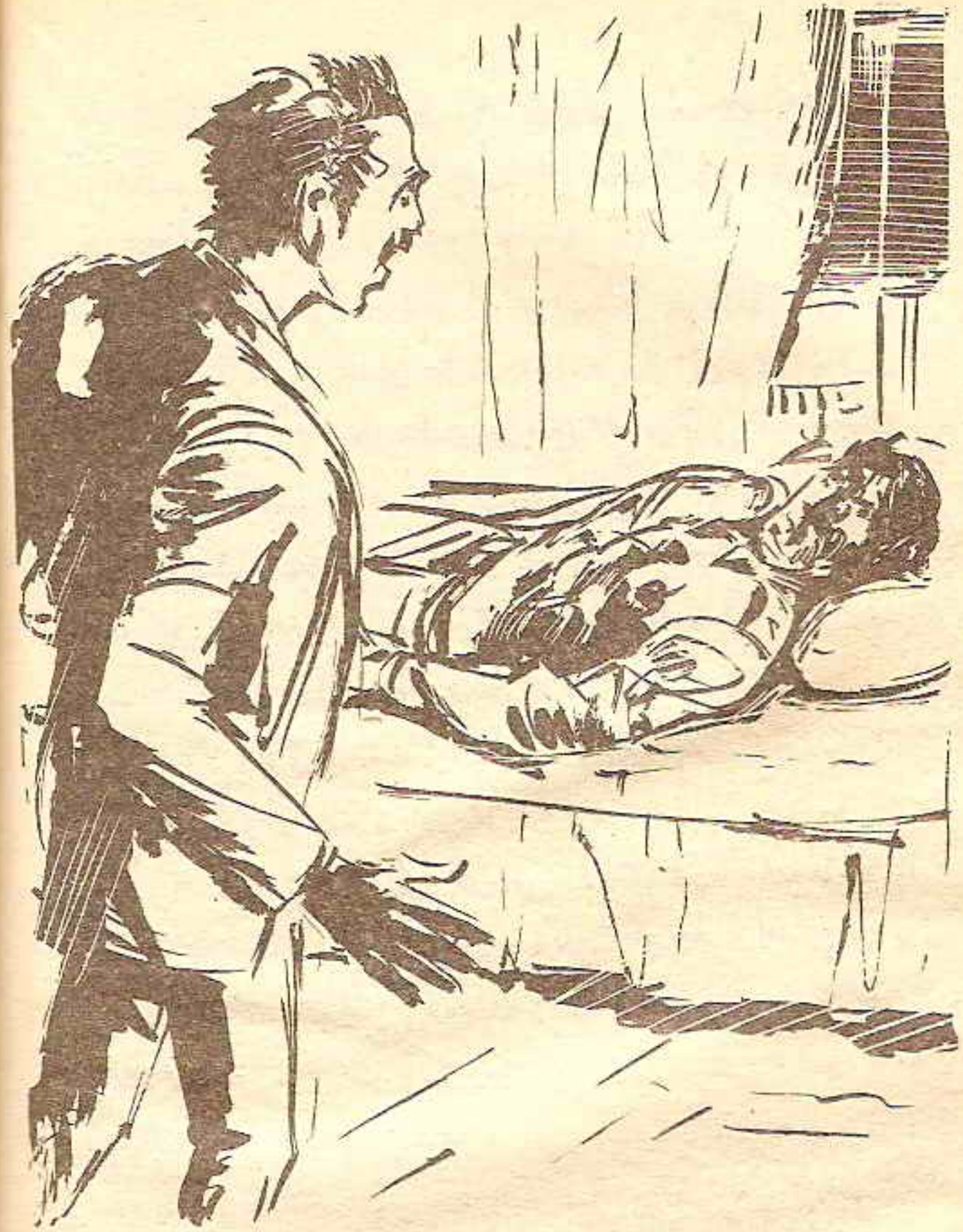

فهناك ، فوق فراشه ، كان يرقد رجل ..
رجل تلوَّث صدره بالدماء ..

٦ ــ الانتقام الثانى ..

ابتسم (عادل محمود) ، وهو يستقبل (عصام) فى مكتبه ، فى التاسعة مساءً ، وقال ، وهو يلوِّح بمجموعة أوراق فى يده :

ــ لدىَّ هنا بضع معلومات تهمُّك للغاية .

هتف (عصام) فى لهفة :

ــ هل توصَّلت إلى (عثمان سعيد) ؟

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، فهتف (عصام) :

ــ هاتِ ما لديك بالله عليك .

ابتسم (عادل) ، وهو يجلس خلف مكتبه فى هدوء ، ويلتقط أولى الأوراق ، قائلًا :

ــ لقد تمَّ أسر (عثمان سعيد) .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ كيف ؟!.. إن قوائم الأسرى لم تمحِ اسمه .

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا وقال :

— هذا صحيح ، فعندما اقتحم الإسرائيليون تلك الوحدة ، التى حدَّدتها ، واحتلوها ، وجدوا ضابطًا يصارع الموت ، مصابًا إصابة بالغة فى ذراعه ، وقد اخترقت صدره عدة رصاصات ، فنقلوه إلى خطوطهم الخلفية ، حيث الوحدات الطبيّة ، وهناك تم إسعافه ، وبقِىَ فى غيبوبة طويلة ، حتى أنهم قد عجزوا عن معرفة اسمه ، فلم يبلغوه لرجال الصليب الأحمر ، ضمن قوائم الأسرى .

هتف (عصام) فى انفعال :

— إذن فقد نجا (عثمان سعيد) .

بدا وكأن العقيد (عادل) قد تجاهل ذلك التعليق تمامًا ، وهو يستطرد بنفس نغمة الصوت :

— وعندما استعاد وعيه ، رفض الإدلاء باسمه ، وأصرَّ على كتابة خطاب لزوجته أوَّلًا ، ولم يكد ينتهى منه ، حتى سقط فى غيبوبة أخرى ، لم تنته إلا .....

صمت لحظة ، ثم أكمل فى حسم :

— إلا بموته .

هتف (عصام) فى دهشة :

— موته ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم يا (عصام).. لقد مات منذ واحد وعشرين عامًا .

غمغم (عصام) فى ذُهُول :

— ولكن كيف ؟.. من أرسل الخطابات إذن ؟

جعلته عبارته يتذكَّر أمرًا هامًّا ، فهتف :

— ماذا فعلوا بالخطاب الذى كتبه لزوجته ؟.. هل أرسلوه إليها ؟

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال :

— لقد فعلوا ، ولكن .....

صمت لحظة قصيرة ، ثم استطرد فى بطء :

— لقد أثبتت تحرّياتى أن (عثمان سعيد) لم يتزوَّج قطُّ .

قفز (عصام) من مقعده ، وهو يهتف :

— ماذا ؟!

وارتجف صوته ، من فرط الانفعال ، وهو يستطرد :

— من تسلَّم الخطاب إذن ؟

قلَّب (عادل) كفيه ، قائلًا :

ـ لا أحد يدرى ، أو يذكر ذلك ، أو حتى العنوان الذى أرسل إليه الخطاب .

هتف (عصام) فى حماس :

ـ ولكن هذا يَعْنى أن شخصًا آخر كان يعلم الأمر ..

سأله (عادل) فى خُبث :

ـ أى أمر ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وقال :

ـ فيما بعد يا سيادة العقيد .. فيما بعد .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ـ إنها هذه المرّة قضيَّتى أنا .. قضيَّتى وحدى ..

* * *

راح قلب (زكى) يخفق فى قوة هائلة ، وهو يلتصق بباب حجرته ، دون أن يجرؤ على التفوُّه بحرف واحد ، على حين نهض (عثمان) ، أو شبح (عثمان) من فراشه فى بطء ، واتجه نحوه فى خطوات خافتة ، وقد بدا وجهه شاحبًا كالموتى ، وامتلأ صدره بعدة ثقوب ، تحيط بها بقع من الدم ..

وفى بطء ، وبصوت بدا لـ (زكى) وكأنما يأتى من أعماق سحيقة ، قال الشَّبح :

ـ لقد عُدت .

كانت الكلمة تكفى لأن ينهار (زكى) تمامًا ، ويجهش بالبكاء ، هاتفًا فى ضراعة ويأس :

ـ الرَّحمة !!

أجابه الشَّبح فى صوت غاضب :

ـ أيَّة رحمة ؟!.. لقد جئت لأنتقم من ثلاثتكم .. عُدت لأنتقم من قاتلى .

صاح (زكى) فى مرارة :

ـ لست قاتلك .. أقسم لك على ذلك .. أنت تعلم .. أنت تعلم من قتلك .. إنه (مختار) .. (مختار) هو الذى أطلق عليك النار ، وأنا اعترضت يومها ، واستنكرت ذلك .. هل تذكر ؟!

ومضت عينا الشَّبح ببريق ثائر ، وهو يغمغم فى شراسة :

ـ (مختار) ..

ثم استطرد فى صرامة :

ـ ولكن هذا لم يمنعك من الحصول على المال ، وتقاضى ثمن مصرعى .

هتف (زكى) فى انهيار :

ـ مـا كان المال ليفيـد أحـدًا .. كان الإسرائيليـون سيحصلون عليه .

ـ قال الشَّبح فى غضب :

ـ هكذا ؟!.. يالك من أحمق !!.. أتصوَّرت أنه يمكنك خداعى ؟!.. لو أنكم شرفاء حقًا ، لسلمتم المال إلى المسئولين ، فور عبوركم القناة ..

ولكنكم خونة ولصوص .

ومال نحو (زكى) ، الذى كاد قلبه يتوقَّف ، وهو يشعر بأنفاس الشَّبح على عنقه ، وهو يسمعه يكرِّر :

ـ هل تفهم ؟.. خونة ولصوص .

ثم اعتدل الشَّبح ، وقال فى صرامة :

ـ أتعرف ماعقوبة الخونة أيها الوغد ؟

أغرورقت عينا (زكى) بالدُّموع ، وهو يقول :

ـ الرَّحمة !!

ابتسم الشَّبح فى سُخرية ، وهو يميل نحوه ، قائلًا :

ـ لم يَعُد هناك مجال للرَّحمة يارجل .. لاهنا ، ولا فى الجحيم الذى سأرسلك إليه .

وفى بطء ، مدَّ كفَّيه نحو عنق (زكى) ، الذى اتسعت عيناه فى رُعب ، وجمع كل قوته وإرادته فى صرخة واحدة ..

صرخة ارتجَّت لها جدران قيلته ، و.....

وصمت كل شىء ..

* * *

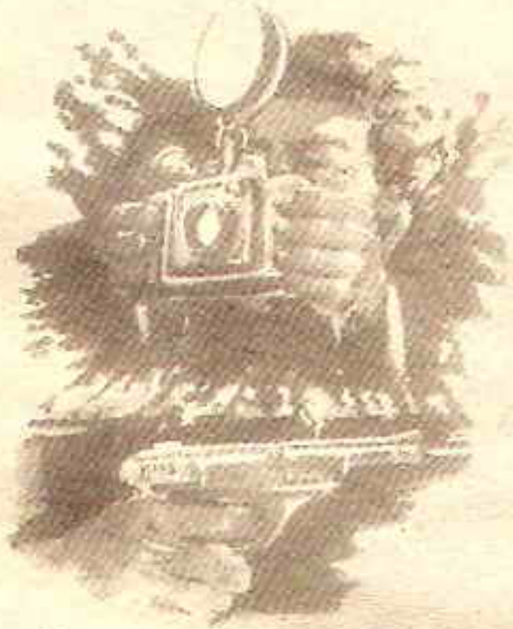

وفى بطء ، مدَّ كفَّيه نحو عنق (زكى) ، الذى اتسعت عيناه فى رُعب ، وجمع كل قوته وإرادته فى صرخة واحدة ..

٧ ــ المواجهــة ..

شعر (عصام) بمزيج من الغضب والمرارة والحَنَــق والغيظ ، وهو يراقب رجال المعمل الجنائى ، الذين التفُّوا حول جثة (زكى عبد الحميد) ، يفحصون كل شبر ، ويجمعون كل مايمكن أن يكون دليلًا ..

واقترب منه أحد ضباط الشرطة ، وقال فى صوت خافت :

ــ ماذا بك ياأستاذ (عصام) ؟.. إنك تبدو كما لو أن القتيل أحد أقاربك .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إنه أحد عملائى .

التفت إليه الضابط فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ عملاؤك ؟!.. ماذا تَعْنى ؟

زفر (عصام) فى حَنَق ، وهو يلوِّح بكفِّه ، قائلًا :

ــ لاعليك .. ألديكم فكرة عن سبب الوفاة ؟

أشار الضباط إلى مصدر كهربى محطَّم ، تدلَّت أسلاكه خارج الحائط ، وهو يقول :

ـــ لقد صعقه التيَّار الكهربى .. يبدو أنه لم ينتبه إلى الأسلاك ، و.....

لم يسمع (عصام) باقى العبارة ، وهو يحدِّق فى الجثة فى غضب ، مغمغمًا :

ـــ أسلاك ؟!.. أهى التى رسمت على وجهه كل ذلك الرُّعب ؟

هزَّ الضابط رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ كلَّا بالتأكيد .. إننى لم أرَ طَوَال حياتى مثل هذا الرُّعب ، على وجه رجل لقِىَ مصرعه صعقًا .. إنه يبدو كما لو أنه ..

بتر عبارته ، ليبحث عن تعبير مناسب ، فأكمل (عصام) فى توتُّر :

ـــ كما لو أنه قد رأى شبحًا .. أليس كذلك ؟

هتف الضابط :

ـــ هذا ما قصدت قوله بالضبط .

قال (عصام) فى حِدَّة ، أدهشت الضابط :

ـــ وأنا كذلك .

ثم اندفع فجأة خارج المكان ، وقفز خلف مقود سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يقول فى غضب :

ـــ لقد خدعهما ذلك الوغد .. خدَع شريكيه ، وقتلهما .

وأطلقت إطارات سيارته صريرًا قويًّا ، وهو يوقفها أمام ڤيلَّا (مختار شوقى) ، ويقفز خارجها ، ويتجه إلى الڤيلَّا فى عُنف ..

وفى حزم ، أوقفه (هانى) ، مساعد (مختار) ، قبل أن يبلغ بوَّابة الڤيلَّا الخارجية ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إلى أين ؟.. (مختار) بك لن يستقبل أحدًا الآن .

أجابه (عصام) فى حزم :

ـــ إنه سيستقبلنى ، شاء أم أبى .

عقد (هانى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ قُلت لك ابتعد ، وإلا.....

وفجأة ، وبكل ما يملك من قوة ، وكل ما يعتمل فى أعماقه من غضب ، هَوَى (عصام) على فكِّ (هانى) بلكمة ساحقة ، ارتدَّ لها هذا الأخير فى عُنف ، وهو يسقط أرضًا ، إلا أنه لم يلبث أن قفز واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ فى غضب :

ـــ أيها الحقير .. كيف تجرؤ ؟!

وبسرعة غير عادية ، التقط من جيب سرواله مُدية آلية ، فرد نصلها فى وجه (عصام) ، وهو يستطرد صارخًا :

ـــ ستدفع حياتك ثمن ذلك .

ورآه (عصام) ينقضُّ عليه ، ويدفع مُديته فى عُنقه تمامًا ..

★ ★ ★

حدث كل شىء فى سرعة ، كما يحدث دَوْمًا بين طرفين ، شحن الغضب كلًا منهما إلى أقصى حَدّ ..

لقد مال (عصام) جانبًا ، متفاديًا نصل المُدْية ، ثم غاص إلى أسفل ، وهَوَى بلكمة كالقنبلة على معدة (هانى) ، الذى انثنى ، وهو يتأوَّه فى ألَمٍ ، ثم اعتدل فى سرعة ، وطوَّح نصل مُديته مرَّة أخرى ، نحو عنق (عصام) ..

وفى هذه المرَّة أيضًا ، تفادى (عصام) نصل المُدية ، ولكم (هانى) فى فكِّه ..

وأطلق (هانى) صرخة غاضبة ، انقبضت لها كل عضلاته البارزة ، وقد أحنَقه كل الحَنَق ، أن يراوغه ويلكمه شاب نحيل ، لا يبلغ ثُلُثَىْ طوله ، مثل (عصام) ، وصرخ وهو ينقضُّ عليه كالوحش الثائر :

ـــ لا أحد يجرؤ على ذلك .. لا أحد يهزم (هانى) ..

قفز (عصام) جانبًا ، وانحنى ؛ ليعبُر أسفل ذراع (هانى) ، إلا أنه وجد نفسه فجأة ، بين ذراعى هذا الأخير ..

وأطلق (هانى) ضحكة ظافرة شرسة ، وهو يطوِّق (عصام) بذراعيه ، على حين راح هذا الأخير يقاوم بكل ما يملك من قوة ، فصاح به (هانى) فى شماتة :

ـــ لا فائدة .. إنك لن تنجح .. لقد خسرت .. لقد خسرت .

وأطلق ضحكة أشبه بضحكة مجنُون خطر ، وهو يُدْنِى نصل المُدية الحادّ من عُنق (عصام) ، هاتفًا :

ـــ أتعلم كيف يذبحون النِّعاج ؟.. إنهم يجتزُّون أعناقها دفعة واحدة .. إنهم يصنعون بها هكذا .

وجحظت عينا (عصام) فى رُعب ، عندما رأى النَّصل اللامع يندفع نحو عنقه ، وسمع مع صوت (هانى) نبرة مخيفة .. نبرة قاتل مجنون ..

★ ★ ★

« قف .. »..

دَوَّت الكلمة كطوق نجاة ، فى أذنى (عصام) ، خاصةً أن يد (هانى) ، الممسكة بالمُدية ، قد تجمَّدت فى الهواء فور سماعها ، وبدا ذلك العملاق المفتول العضلات أشبه بأرنب مذعُور ، وهو يتخلَّى عن عنق (عصام) ، وينكمش مغمغمًا :

ـ لقد أراد الدخول عنوة ياسيِّدى .

هتف صاحب الكلمة فى صرامة :

ـ وهل أمرتك بذبح من يفعل هذا أيها الغبىّ ؟

ازداد انكماش (هانى) فى ذُعر ، على حين التفت (عصام) إلى مصدر الصوت ، فطالعه وجه رجل فى أواخر الأربعينات ، وسيم إلى حدٍّ ما ، ممشُوق القوام ، أشيب الفَوْدَيْنِ ، حليق ، قال فى هدوء :

ـ اسمى (مختار شوق) ، صاحب هذه الڤيلَّا .. أرجو أن تغفر لحارسى تهوُّره .

عدَّل (عصام) ثيابه ، وهو يقول :

ـ حارسك ؟!.. كنت أظن أنه لاوجود للحرس الخاصّ ، سوى فى الأفلام الأمريكية والإيطالية .

ابتسم (مختار) ، وهو يقول :

ـ بل لهم وجود فى كل مجتمع ، مادام يضمّ عددًا لابأس به من الأثرياء .

أضاف (عصام) فى صرامة :

ـ والقتلة .

عقد (مختار) حاجبيه ، وهو يتأمَّله فى بُرُود ، قبل أن يسأله فى صوت كالثلج :

ـ من أنت ؟

أجابه (عصام) فى قوة :

ـ (عصام كامل) ، صحفى بقسم الحوادث ، وقد أتيت خصِّيصًا لمقابلتك .

مرَّت لحظة وجيزة من الصمت ، تصوَّر (عصام) خلالها أن الرجل يحاول أن يغور فى أعماقه بنظراته ، وينتزع خبايا شخصيته ، قبل أن يقول بنفس الصوت واللهجة :

ـ لماذا ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ بشأن عملية قديمة .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم ، ضاغطًا كل حرف من حروف كلماته ، ليؤكِّد المعنى الذى ينشده :

ـ عملية تعود إلى نكسة يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

ظلَّ كل منهما يحدِّق فى عينى الآخر لحظات ، قبل أن يقول (مختار) :

ـ إنك تثير فُضُولى حقًا أيها الصحفى .. سألتقِى بك .

واستدار ، دون أن يضيف حرفًا آخر ، ودلف إلى القيلًا ، فألقى (عصام) على (هانى) نظرة متحدِّية ، ثم دلف خلفه ..

وفى حجرة الاستقبال ، جلس الاثنان على مقعدين متقابلين ، وأشعل (مختار) سيجارته ، وهو يقول فى هدوء :

ـ حسنًا أيها الصحفى .. ماذا تريد ؟

أجابه (عصام) فى برود :

ـ اعتراف .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ساخرة ، وهو يقول :

ـ اعتراف بماذا ؟

مال (عصام) إلى الأمام ، وقال :

ـ اسمع ياسيِّد (مختار) ، هناك قصة قديمة ، ينبغى أن تسمعها أوَّلًا ، قبل أن نتناقش .. يُحكى أنه فى عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، وبينما تجاز (مصر) محنة عسكرية أليمة ، وتخسر أسلحة جيشها ، وأرواح أبنائها ، فى نكسة يونيو ، كان هناك ثلاثة رجال أوغاد ، تناسوا كل هذا ، ولم يفكِّروا سوى فى مصلحتهم الشخصية فحسب ، فتآمروا

لسرقة مليون جنيه ، كانت هى كل مرتبات جنود وضباط المنطقة التابعة لهم ، وعندما اعترضهم ضابطهم ، قتلوه ، وبعدها أصبح كل منهم من الأثرياء ، ورجال المجتمع .. هل سمعت تلك القصة من قبل ياسيِّد (مختار) ؟

كان وجه (مختار) شديد الاحتقان ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ كلَّا .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لعلك على حقٍّ ياسيِّد (مختار) ، فأنت لم تسمع بتلك القصة ، بل شاركت فى أحداثها ، وكنت أحد أبطالها ، ولمزيد من الثقة ، سأخبرك باسمى زميليك .. لقد كان أحدهما هو (زكى عبد الحميد) ، والآخر هو (جابر القرشى) .. أتعرفهما ؟.. وبالمناسبة .. لقد كان الضابط يدعى (عثمان سعيد) .

ازداد احتقان وجه (مختار) ، وهو يقول :

ـ إذن فهو أنت .

سأله (عصام) فى حَيْرَة :

ـ أنا ماذا ؟

اكتسب صوت (مختار) شراسة مفاجئة ، وهو يقول :

ــ أنت الذى أرسلت الخطابات .

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ــ لن تفلح لُعبتك هذه ياسيِّد (مختار) .. لقد أخبرنى (زكى) بكل شىء ، وطلب منِّى حمايته ، ولقد تأكَّدت بنفسى من أن (عثمان سعيد) قد لقِىَ مصرعه فى (إسرائيل) ، منذ واحد وعشرين عامًا ، ولمَّا كنت لاأومن بالأشباح ، فقد كنت واثقًا من وجود عقل شيطانى ، خلف كل هذه اللُّعبة ، ومادام من المؤكد أن أحدًا غيركم لم يكن يعلم بأمر جريمتكم ، فمن الطبيعى أن يكون صاحب الخُدعة هو أحد ثلاثتكم ، ولقد لقِىَ اثنان منكم مصرعهما ، وعلى وجهيهما أبشع آيات الرُّعب ، فمن يكون صاحب الخدعة إذن ، لايبقى سواك .. لقد بلغت مركزًا ماليًّا واجتماعيًّا مرموقًا ، وقرَّرت أن تمحُوَ كل مايتعلَّق بماضيك ، وبجريمتك ، وأن تتخلَّص من الوحيدين ، اللَّذين يعلمان سرَّك ، فلجأت إلى تلك الخدعة الشيطانية ، و.....

قاطعه (مختار) فى حِدَّة :

ــ (زكى) أخبرك ؟!..

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ نعم .. لقد أخبرنى بكل التفاصيل .

فوجئ (عصام) به ينفجر ضاحكًا ، على نحو جُنُونى عجيب ، وهو يردِّد :

ــ إذن فـ (زكى) هو الذى أخبرك ..

وفجأة ، بتر ضحكاته ، واكتست ملامحه بشراسة لاحدود لها ، وهو يقول :

ــ لقد أخطأت بتصديق قصة معتُوه أيها الشاب .

هتف (عصام) فى صرامة :

ــ بل هى قصة حقيقية ، و.....

قاطعه (مختار) فى غضب :

ــ اخرج .

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ــ ماذا ؟

صاح به فى غضب :

ــ قُلت لك اخرج من بيتى .. إننى أطردك .. ألا تفهم ؟

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، وهو ينهض ، قائلًا :

ــ حسنًا يا (مختار) .. إننى سأنصرف ، ولكنك لن تخفى مالديك .. ستُدلِى به أمامى ، أو أمام رجال الشرطة .

وانصرف فى غضب ..

ولم يكد يفعل ، حتَّى ضغط (مختار) زرًّا صغيرًا ، فأسرع إليه (هانى) ، ووقف أمامه صاغرًا ، فقال هو فى صرامة :

ــ أرسل (توفيق) خلف هذا الصحفى الثرثار .

ثم ابتسم فى شراسة ، مستطردًا :

ــ قُل له إن فم ذلك الصحفى يُطلق نفيرًا مزعجًا ، وإننى أكره الضوضاء ، وليس أمامنا سوى ..

أطلق ضحكة وحشية شامتة ، قبل أن يردف :

ــ قتله .

* * *

٨ ــ الخيــط ..

هبط رجل وقُور ، فى أواخر الأربعينات من عمره ، من سيارته المتواضعه ، واتجه فى خطوات بطيئة هادئة ، نحو مدخل تلك البِناية القديمة ، التى يقطن إحدى شققها ، وبدا وكأنما قد أصابه فزع رهيب ، حينما وجد (عصام) يعترض طريقه فجأة ، وهو يقول :

ــ أأنت الأستاذ (نجيب عثمان) ؟

تراجع الرجل فى حركة حادَّة ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ هو أنا .. ماذا تريد منّى ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ لاتضطرب هكذا ياسيِّدى .. إننى صحفى ، وكل مالدىَّ عبارة عن بضعة أسئلة فحسب .

حَدَجه الرجل بنظرة متشكِّكة ، وهو يغمغم :

ــ وماشأنى أنا بالصحافة ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ الصحافة تهتم بالجميع ياسيِّد (نجيب) ، إننى (عصام كامل) ، صحفى بقسم الحوادث ، بجريدة الـ .....

قاطعه (نجيب) هاتفًا :

ـــ (عصام كامل) ؟!.. إننى أعرفك بالطبع .. إن تحقيقاتك هى أوّل ما أبحث عنه ، عندما أفتح صحيفة الصباح .

غمغم (عصام) فى حياء :

ـــ شكرًا لك ياسيِّدى .

هتف (نجيب) فى حماس :

ـــ إنه أحد تحقيقاتك البوليسية الجديدة .. أليس كذلك ؟.. سَلْ ما بدا لك يا فتى ، سيسُرنى أن أشارك فى أحد تحقيقاتك ، ولو مرَّة واحدة .

غمغم (عصام) :

ـــ إنه أحد تحقيقاتى حقًّا ، وأظن أن مشاركتك فيه ستكون ذات فائدة عظيمة .

عاد (نجيب) يكرِّر فى حماس :

سَلْ ما بدا لك يا أستاذ (عصام) .

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم قال :

ـــ إنه أمر يتعلَّق بابن شقيقك الراحل ياسيِّد (نجيب) .

ارتسم الحزن فجأة على عينى ووجه (نجيب) ، وهو يقول :

ـــ أتقصد (عثمان) ؟!.. رحمه الله .. لقد كان شابًّا رائعًا ، فى عمر الزُّهور ، مُحِبًّا للحياة ، يكاد يكون مثاليًّا ، لولا ميله لمصادقة النساء .. تصوَّر أن ترقيته قد تأخَّرت ؛ بسبب علاقته براقصة .. لقد كان يصرُّ على الزواج منها ، لولا معارضة والديه .. لقد كان ابنهما الوحيد ، وكان من المستحيل أن يسمحا له بالزواج من راقصة ، ولست أدرى كيف استسلم لقرارهما ، وهو الذى عُرف طِيلَة عمره بالإصرار والعناد .. لقد كانا يحبانه فى شدَّة ، حتى أنهما قد تُوُفِّيا حزنًا على استشهاده فى نكسة يونيو .

قال (عصام) فى اهتمام :

ـــ أتعْنِى أنه لم يتزوَّج أبدًا .

بدت الصرامة فى عينى (نجيب) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ أبدًا .

سأله (عصام) :

ـــ ولماذا ضايقك سؤالى هذا ؟

تردَّد (نجيب) لحظة ، ثم قال :

ـــ لأن تلك الراقصه قد ادعت بعد مصرعه أنها زوجته ، بل تمادت إلى حدِّ القول بأنها ستنجب له ابنًا ، و.....

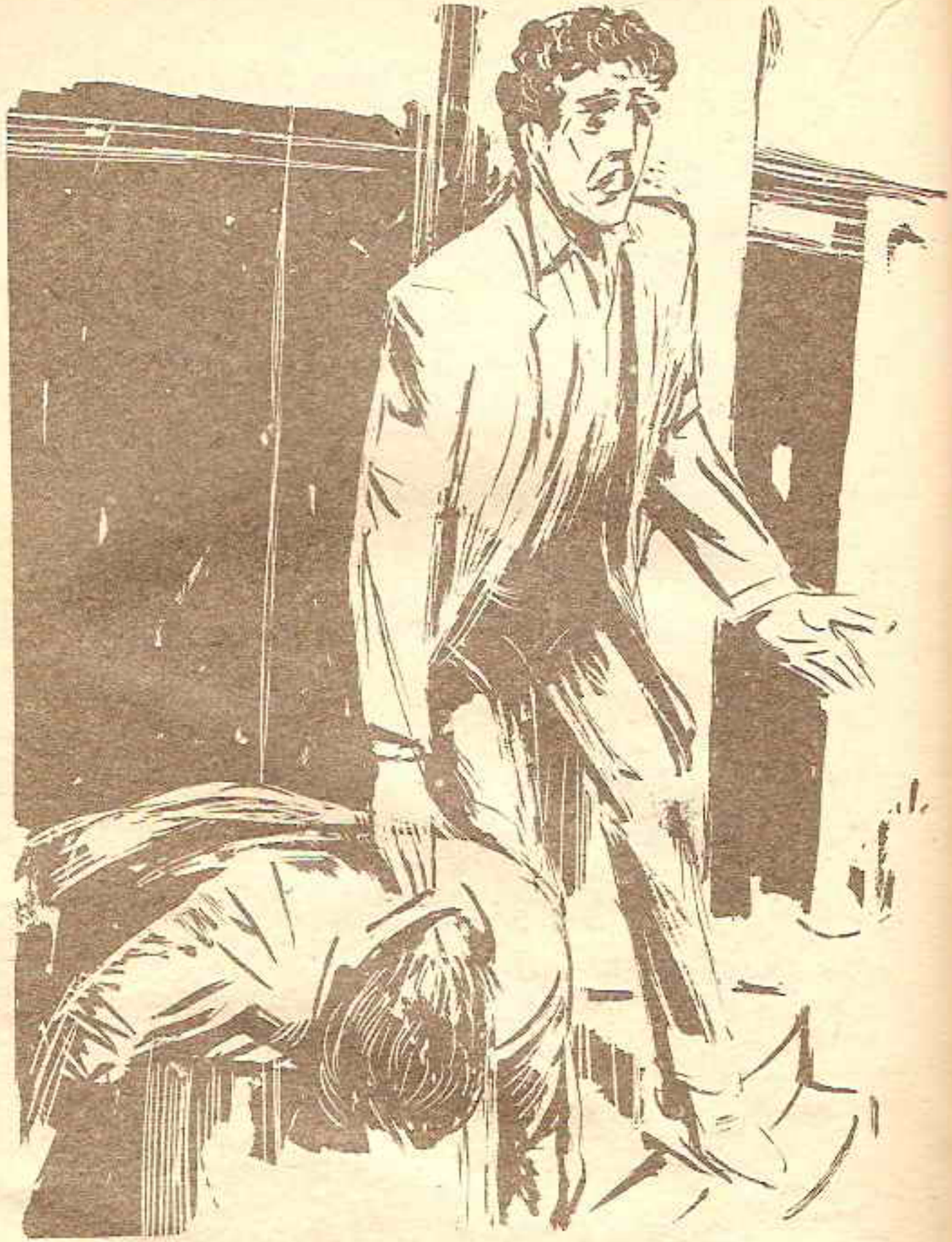

وتشبَّث بصدر (عصام) لجزء من الثانية ، ثم سقط جثة هامدة عند قدميه ..

وفجأة ، دوَّت رصاصة ..

رصاصة مصوَّبة إلى رأس (عصام) ..

***

كانت الرصاصة مصوَّبة حقًّا إلى رأس (عصام) ، ولكنها لم تصب هدفها ..

لقد استقرَّت فى رأس آخر ..

رأس (نجيب عثمان) ..

وجحظت عينا الرجل المسكين ، وتفجرت الدماء من جمجمته المثقوبة ، فى سرعة بالغة ، وتشبَّث بصدر (عصام) لجزء من الثانية ، ثم سقط جثة هامدة عند قدميه ..

وبكل غضب الدنيا استدار (عصام) ، إلى مصدر الطلق النارى ..

ورأى القاتل ..

رآه يصوِّب إليه مسدَّسه ، استعدادًا لإطلاق رصاصة أخرى ، بعد أن أخطأت الأولى هدفها ..

وانطلق نحوه (عصام) ..

وطاشت رصاصة القاتل الثانية ، مع الفزع الذى ملأ قلبه ، وهو يرى (عصام) مندفعًا نحوه ، بكل ما فى أعماقه من غضب ، وكل مايملأ ملامحه من إصرار ..

وهنا استدار القاتل ، وانطلق يعدُو مبتعدًا ..

وخلفه ركض (عصام) ..

كانت مطاردة غريبة ، مثيرة ، بين رجلين ، يصرُّ كل منهما على أن يفوز بالسباق ..

وبقفزة ماهرة ، طوَّق (عصام) بذراعيه وسط خصمه ، وأجبره على مشاركته السقوط ..

ورفع القاتل مسدَّسه ، نحو صدر (عصام) ، محاولًا التخلُّص منه ، إلا أن (عصام) لَكَمَ المسدَّس بعيدًا ، وجذب القاتل من صدره ، وكال له لَكْمَة حطَّمت أنفه ، قبل أن يسأله فى غضب :

ــ من أرسلك ؟.. لحساب من تعمل ؟

صاح الرجل ، وهو يحاول إيقاف نزيف أنفه :

ــ دَعْنى .. إنك تؤلمنى .

كال له (عصام) لَكْمَة أخرى ، حطَّمت اثنتين من أسنانه الأمامية ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ من طلب منك قتل ذلك الرجل ؟

أجابه القاتل فى ألم :

ــ لاأحد .. لقد كان المفروض أن أقتلك أنت !

سأله (عصام) فى صرامة شديدة :

ــ ومن أمرك بذلك ؟

أجابه الرجل فى إعياء :

ــ (مختار) بك .. (مختار شوق) .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يقول فى غضب :

ــ ذلك الوغد الحقير .

ثم عاد يجذب الرجل من سترته فى عُنف ، وهو يقول :

ــ ستصحبنى إلى الشرطة ، وستكرِّر كل ماقُلته لى هناك .. هل تفهم ؟

هتف الرجل فى ارتياع :

ــ لايمكننى .. سيقتلوننى لو فعلت .

صاح به (عصام) فى غضب :

ــ وسأقتلك لو لم تفعل .

وفجأة ، جمع الرجل كل قُوَّته ، ودفع (عصام) بعيدًا ، وهو يصرخ :

ــ ابتعد عنِّى .

ثم انطلق يركض ، محاولًا عُبور الطريق ، قبل أن يلحق به (عصام) ، وارتفع صرير إطارات السيارات ، واختلط بصراخ المارَّة ، ثم حدث الاصطدام ، وسال نهر من الدماء فى الطريق ..

دماء قاتل ..

* * *

وقف (هانى) ، الحارس الخاص لـ (مختار شوقى) ، أمام بوَّابة فيلَّا هذا الأخير ، عاقدًا ساعديه المفتولين أمام صدره ، وهو يحاول التخلِّى عن ذلك المزيج من الغضب والحَنق ، الذى تركه (عصام) فى أعماقه ، عندما هزمه هذا الصباح ..

صحيح أنه كاد يقتله ، إلا أنه لم يردّ له لكمة واحدة ، مما لكمهُ به (عصام) ، وكان هذا وحده يورثه غضبًا عميقًا .

وعقد حاجبيه فى حِدَّة ، وهو يتابع شابًّا أسمر ، يقترب من البوابة ، ويتجه إليها مباشرةً ، واعترض طريقه ، وهو يقول فى صرامة ، وكأنما يحاول استفزاز الشاب ، والدخول معه فى معركة ، تعوِّض ما أصابه فى الصباح :

ــ إلى أين ؟

أجابه الشاب الأسمر فى هدوء :

ــ إلى الداخل .. إنها فيلَّا (مختار شوقى) .. أليس كذلك ؟

قال (هانى) فى صرامة :

ــ بلَى ، وهذا لا يَعْنِى أننى سأسمح لك بدخولها .

ارتسمت على شفتى الشاب ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ــ ومن قال لك إننى سأنتظر إذنك .

عقد (هانى) حاجبيه فى غضب ، وأمسك سترة الشاب فى عُنف ، وهو يقول فى خشونة :

ــ اسمع ياهذا .. إننى لن ..... وفجأة ، صدر صوت مكتوم ، أشبه بفحيح أفعى صغيرة ، وجحظت عينا (هانى) فى ألم وذُهول ، وهو يحدِّق فى عينى الشاب الأسمر ، الذى حافظ على ابتسامته الهادئة ، وظلَّ ثابتًا ، ساكنًا ، كما لو أنه من عالم آخر ، حتى سقط (هانى) جثة هامدة تحت قدميه ، وراحت بركة من الدماء تتكوَّن حول صدره فى سرعة ..

وفى هدوء شديد ، تجاوز الشاب جثة (هانى) ، واتجه نحو الفيلَّا ، ووقف أمام بابها لحظة ، خلع خلالها سترته وقميصه ، ثم عالج رتاج الباب فى هدوء وسرعة ومهارة ، ودفعه فى خُفوت ، وتسلَّل إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه فى صمت عجيب ..

وفى حجرة مكتبه ، كان (مختار شوقى) يراجع بعض الأوراق فى اهتمام ، وقد ألقى خلف ظهره مؤقتًا أمر (عثمان سعيد) ، وشبحه ، وانتقامه ، وراح يحسب صفقة غير مشروعة ، من المنتظر أن تعود عليه بأرباح طائلة ..

وفجأة ، شعر (مختار) بحركة مريبة خلفه ، فأزاح الأوراق بعيدًا ، والتفت إلى مصدر الحركة فى حِدَّة ..

وهنا تجمَّدت أطرافه ، وسَرَت فى جسده قشعريرة رُعب حتى النخاع ..

لقد رأى أمامه الشبح ..

شبح رجل امتلأ صدره بثقوب الرصاصات ..

شبح (عثمان سعيد) ..

★ ★ ★

٩ ـ إلى الجحيم ..

تراجع العقيد (عادل محمود) فى مقعده ، وهو يتأمَّل (عصام) فى اهتمام ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ من الواضح أنك تخفى عنِّى الكثير يا (عصام) فتعرُّضك لمحاولة قتل ، يَعْنى أنك تواجه عملية أكبر من اللازم .

غمغم (عصام) فى حزم :

ـ إنها قضيتى وحدى .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ ومن قال إنها ليست كذلك ؟

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ـ اسمع يا (عادل) .. إنك و (عماد) و (عُلا) ، تنتزعون منِّى كل قضية ، لمجرَّد أنكم تتمتعون بموهبة الاستنتاج ، وأنا مصرٌّ هذه المرَّة على أن أتولَّى تلك القضية من الألف إلى الياء ، وإلا فقدت ثقتى بنفسى تمامًا .

قال (عادل) فى دهشة :

ـ ولكنك تنشر كل تحقيقات القضايا باسمك بالفعل ، وجميع القراء يعتبرونك بطلهم المفضَّل .

صاح (عصام) فى حنق :

ــ هذا لا يُغنينى .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا فى مرارة :

ــ المهم هو ماذا أعتبر نفسى ..

صمت (عادل) لحظة ، وهو يتطلَّع إلى وجه (عصام) فى هدوء ، ثم قال :

ــ إننى أفهمك .

واعتدل فى مقعده ، وهو يستطرد :

ــ أتحبُّ تناول قدح من الشاى ؟

غمغم (عصام) :

ــ بالتأكيد .

نهض (عادل) ، واتجه إلى مطبخ منزله ، ليعدّ الشاى ، على حين استرخى (عصام) فى مقعده ، وراح يسترجع ماحدث ..

إنه لم ولن يؤمن بالأشباح ..

وهو واثق من أنه لا يقاتل شبح (عثمان سعيد) ..

ولكن من يقاتل ؟!..

الخطاب الذى أرسله (عثمان) إلى زوجته المزعومة ، قبل أن يموت ، نقل قصة السرقة ومحاولة القتل بالتأكيد ، إلى شخص ما ، وهذا الشخص هو الذى يتحرَّك الآن ، ويرسم خطوطَ تلك الخطة الجهنَّمية ..

ولكن من هو ؟..

ولماذا انتظر عشرين عامًا ، حتى يفعل ذلك ؟..

وهل مات (عثمان سعيد) حقًّا ؟..

أهو نفس الشخص ، الذى عثروا عليه فى وحدته ؟..

ماذا لو أنه شخص آخر ؟..

هناك احتمال كبير أن يكون كذلك ، وذلك الخطاب ، الذى أرسله إلى زوجته ، وعدم زواج (عثمان) ، طبقًا لتأكيد الجميع ، ربَّما كانا الدليلين على أنه ليس (عثمان سعيد) ..

أهو الذى ينتقم الآن ياتُرى ؟..

يالها من نظرية !!..

إنها على الرغم من غرابتها ، تبدو معقولة للغاية ..

رجل حاول منع جريمة سرقة ، وخيانة للوطن ، فأطلق عليه الخونة السارقون النار ، وظنُّوا أنه قد مات ، ثم أسعفه الإسرائيليون ، ربما أملًا فى أن يحصلوا منه على معلومات قيِّمة ،

ولكنه فقد الذاكرة طويلًا ، فلم يَرِد اسمه فى قائمة الأسرى ، وبعدها عاد إلى (مصر) ، واستردَّ ذاكرته بعد عشرين عامًا ، فوجد أن أبويه قد لقيا ربهما حزنا عليه ، على حين ينعم قاتلوه بالثراء والسطوة ، والمكانة الاجتماعية ..

فينتقم ..

نعم .. إنها نظرية معقولة للغاية ، مادمنا لم نُثبت بعد وفاة (عثمان سعيد) ..

انتزعه من لُجَّة أفكاره فجأة ، صوت العقيد (عـادل محمود) ، وهو يقول :

ــ لقد نقل أحدهم رفات (عثمان سعيد) إلى هنا .

انتفض (عصام) ، وهو يلتفت إليه فى دهشة ، هاتفًا :

ــ رفاته ؟!

وضع أمامه (عادل) قدح الشاى ، وهو يقول :

ــ نعم .. لقد حدث هذا منذ عامين أو ثلاثة ، ولكننا لم نتوصَّل إلى اسم من فعل ذلك بعد .

كان هذا يهدم نظرية (عصام) كلها ، لذا فقد سأل العقيد (عادل) فى توتُّر :

ــ وما الدليل على أنها رفات (عثمان سعيد) ؟

هزَّ (عادل) كتفيه ، وارتشف رشفة من قدحه ، وقال فى بساطة :

ــ لا دليل بالطبع ، ولكن شخصًا ما قام بنقل رفاته إلى هنا ، على نفقته الخاصة ، ودفنها فى قبر يحمل اسم (عثمان سعيد) .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ يحمل اسم ؟!

انعقد حاجباه فى شدَّة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق بعض الوقت ، ثم هتف فجأة :

ــ يا إلهى !!.. لابدَّ أن نلحق بـ (مختار) .. إنه سيسعى إليه بالتأكيد .

سأله (عادل) فى اهتمام :

ــ (مختار) مَنْ ؟

هبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يهتف :

ــ سأخبرك فى الطريق ، المهم أن نسرع إلى هناك ، قبل أن ينتقم الشَّبح انتقامه الأخير ..

هتف (عادل) فى دهشة :

ــ الشَّبح ؟!

صاح (عصام) ، وهو يندفع نحو الباب :

ـــ نعم يا عزيزى .. إنها أوّل مرّة أفعل فيها هذا ، ولكننى قد حللت اللُّغز .. حللته وحدى هذه المرّة ..

* * *

تأوّه (مختار شوق) فى ألم ، وهو يستعيد وعيه ، وشعر بصداع شديد يكتنف رأسه ، وبدت له الصور والمشاهد مهتزّة مشوّشة ، وهو يغمغم :

ـــ أين أنا ؟!

لم يتذكّر فى البداية ماذا أصابه ، ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا فى رُعب ، وهو يحدّق فى ذلك اللّوح الرخامى ، المجاور له ..

لقد كان شاهد قبر ..

قبر يحمل اسم ضحيته ..

اسم (عثمان سعيد) ..

وهنا استعاد (مختار) ذاكرته ..

إن آخر ما يذكره هو أنه كان يجلس فى حجرة مكتبه ، يراجع بعض الأوراق السرّية ، لصفقته القادمة ، عندما شعر بحركة ما خلفه ، فالتفت ، و.....

ورآه ..

خفق قلبه فى عُنف ، وهو يسترجع تلك اللحظة ، التى رأى فيها ضحيته أمامه ..

لقد رأى (عثمان سعيد) بنفسه ..

بل رأى شبحه ..

شبح ضحيته ، والدماء تنزف من ذراعه فى غزارة ، وثقوب الرصاصات تملأ صدره ..

لقد رأى شبح ضحيته ..

وفجأة ، انتفض جسد (مختار) فى قوة ، وارتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وكاد قلبه يتوقّف من فَرْطِ الرُّعب ..

فهناك من أعماق القبر المفتوح ، انبعث صوت عميق ..

صوت يهتف باسمه هو ..

صوت بدا وكأنه يأتى من أعمق أعماق الجحيم ..

إنهم يستدعونه إليه ..

إلى الجحيم ..

وشهق (مختار) فى قوة ، وسقط قلبه بين قدميه ، وجحظت عيناه فى شدّة ، وكاد يسقط جثة هامدة ، وهو يحدّق فى داخل القبر المظلم ..

لقد كان هناك جسم يتحرّك صاعدًا ..

جسم بدا له مألوفًا ..

وصرخ فى رُعب ، عندما اتضحت له معالم ذلك الجسم ، على ضوء القمر ..

لقد كان ..

شبح الضحية ..

(عثمان سعيد) بوجهه الأسمر ، وشعره الأسود الناعم ، وحُلَّته العسكرية ، التى مزَّقتها طلقات الرصاص ..

وتجمدَّت أطراف (مختار) فى رُعب هائل ، وانكمش فى مكانه ، وهو يحدِّق فى الشبح ، الذى اتجه نحوه فى هدوء ، ثم رفع سبَّابته ليشير إليه ، وهو يقول فى صوت عميق :

ـــ هانحن أولاء قد التقينا يا (مختار) .. التقَى القاتل بضحيته .

صرخ (مختار) فى رُعب ، وهو يتراجع :

ـــ كلَّا .. الرَّحمة !!..

واصل الشَّبح حديثه فى قسوة :

ـــ لقد عُدت إليك من عالم الموتى ، لأنتزعك من عالم الأحياء ، وأُلقِى بك فى جحيم العذاب .

انهار (مختار) ، وهو يصرخ :

وصرخ فى رُعب ، عندما اتضحت له معالم ذلك الجسم ، على ضوء القمر ..

ـــ لا .. لا أريد أن أموت .

صاح به الشَبح فى غضب :

ـــ لماذا قتلتنى إذن ؟

بكى (مختار) فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ كنت مضطرًا .. اغفرلى .

هتف الشَبح :

ـــ أغفر لك ماذا ؟.. قتلك لى ، أم خيانتك لوطنك ؟

ثم انتصب على نحو مخيف ، وهو يشير إلى القبر ، قائلًا :

ـــ هيًا يا (مختار) .. قبرك ينتظرك .. ستشاركنى قبرى .

لوَح (مختار) بذراعيه فى رُعب ، صارخًا :

ـــ كلَا .. كلَا .

انحنى الشَبح ، والتقط من خلف القبر شاهدًا رخاميًا ، وضعه أمام عينى (مختار) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هيًا يا (مختار) .. هيًا أيها القاتل .. استسلم لمصيرك .

اتسعت عينا (مختار) رعبًا ، وهو يحدَق فى شاهد القبر الرُخامى ، الذى يحمل اسمه هو بحروف واضحة ، مع كلمات مخيفة ، تقول :

ـــ هنا يرقد فى عذاب ، (مختار شوقى) ، الخائن لوطنه ، وقاتل البطل (عثمان سعيد) ..

وارتفع صوت الشبح الصارم ، يقول :

ـــ هيًا يا (مختار) .. الجحيم لن ينتظرك طويلًا .

صرخ (مختار) ، وهو يتراجع فى رُعب :

ـــ لا .. لا .

تحرَك الشَبح نحوه ، هاتفًا فى صرامة :

ـــ ستدخل يا (مختار) .. لن تفلت من مصيرك أبدًا .. أبدًا .

تراجع (مختار) فى رُعب ، وهو يلوَح بذراعيه ، صارخًا :

ـــ هذا مستحيل .. إنه مجرَد كابوس .. كابوس بشع .

قال الشَبح :

ـــ بل حقيقة أيها الخائن القاتل .

وفجأة ، أقدم (مختار) على مبادرة مدهشة ..

لقد انقض على الشَبح ..

شبح ضحيته ..

* * *

١٠ ــ خلف شبح ..

أوقف (عصام) سيارته ، أمام قيلًا (مختار) ، وقفز منها ، وهو يهتف بـ (عادل محمود) فى انفعال :

ــ هيًا .. لابدَّ لنا من أن نسرع ، قد تعْنى دقيقة واحدة حياة (مختار) .

أجابه (عادل) ، وهو يغادر السيارة فى هدوء :

ــ طبقًا للقصة التى رويتها لى ، ونحن فى الطريق إلى هنا ، فحياة ذلك اللص الخائن لاتساوى شيئًا .

صاح (عصام) ، وهو يسرع نحو القيلًا :

ــ المهم أن يتمَّ القصاص على النحو السليم الشرعى ، وأن .....

بتر عبارته فجأة ، وشهق فى قوة ، عندما فوجئ أمامه بجثة (هانى) ، ولحق به (عادل) ، وهو ينحنى ليفحصها فى توتُّر ، وقال :

ــ لقد أصابته رصاصة فى قلبه مباشرةً ، ومن مسافة قريبة للغاية ، فلقِى مصرعه على الفور .

ثم هتف فى هلع :

ــ يا إلٰهى !!.. (مختار) !

واندفع يعبُرُ باب القيلًا المفتوح ، ويهرع داخلها ، صائحًا :

ــ أين أنت ياسيِّد (مختار) ؟

هتف به (عادل) :

ــ هناك خادم قتيل أيضًا .

صاح (عصام) :

ــ ولكن لاأثر لـ (مختار) ، أو حتى جثته !

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ يبدو أن شبحك هذا قد صار سفاحًا يا (عصام) .

التفت إليه (عصام) ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ إنه ليس شبحًا .

سأله (عادل) فى حدَّة :

ــ من هو إذن ؟

لوَّح (عصام) بذراعه ، وهو يهتف :

ــ ليس هذا هو المهم الآن .. المهم هو أين أخذ (مختار) ؟..

وفجأة ، برقت عيناه ببريق قوى ، وهو يستطرد :

ـ يا إلهي !!.. لو أنه يفكر كما أفكر أنا !

أمسك (عادل) ذراعه فى قوة ، وهو يسأله :

ـ ما الفكرة التى تدور فى رأسك .

هتف (عصام) ، وهو يندفع خارجًا :

ـ المقابر يا (عادل) .. يبدو أن الشبح قد قرر أن يصحب قاتله معه إلى الجحيم .

* * *

من الجنون أن يفكر بشرى فى مهاجمة شبح ..

ومن الجنون أيضًا أن يستسلم هذا البشرى للموت ..

لقد كان (مختار) يائسًا ، يظن أن الموت قد صار أقرب إليه من حبل الوريد ، لذا فقد أقدم على محاولة يائسة أخيرة ، وهاجم الشبح ..

وبمجرد التحامهما ، أدرك (مختار) أنه لا يقاتل شبحًا ..

فالأشباح لا تقاتل بقبضتها ..

ولا تحمل مسدسًا ..

لقد استقبل الشبح خصمه بلكمة عنيفة ، على الرغم من المفاجأة ، وجذبه من سترته ، ثم حمله فوق ظهره ، وألقاه على الأرض فى قسوة ، وراح يركله فى عنف وثورة ، و (مختار) يصرخ :

ـ إنك لست شبحًا .. لست شبحًا .

توقف الشبح عن ضرب خصمه ، وانتزع من قميصه مسدسًا ، صوبه إليه ، وهو يقول فى غضب :

ـ بالطبع أيها الوغد .. إننى حتى لا أومن بالأشباح .

ثم أشار إلى مسدسه ، قائلًا :

ـ انظر .. هذا المسدس مزود بكاتم للصوت .. إنه نفس المسدس الذى قتلت به حارسك الخاص ، وخادمك ، وعندما أقتلك به ، سيتم كل شىء فى هدوء .

وابتسم ابتسامة ساخرة مخيفة ، قبل أن يردف :

ـ أم أنك تفضل أن أدفنك حيًا ؟

امتقع وجه (مختار) ، وغمغم فى مزيج من الرعب والانهيار :

ـ لماذا تكرهنى إلى هذا الحد ؟

صاح به فى غضب :

ـ لأنك قتلت (عثمان سعيد) .. قتلت الرجل الوحيد فى هذا العالم ، الذى كان من الممكن أن يغير بقاؤه حيًا حياتى كلها .. لقد قتلت اسمى ومستقبلى .. قتلت كيانى كله .

هتف (مختار) فى ارتياع :

ـــ ولكن من أنت ؟

برقت عينا الشَّبح فى كراهية ، وهو يقول :

ـــ سأخبرك أيها الحقير .

وبحركة حادَّة ، انتزع شعرًا ناعمًا مستعارًا عـن رأسه ، ولوحة مُتقنة لمواضع رصاصات نافذة عن صدره ، ونصب قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـــ اسمى (خالد) .. وشهادة ميلادى تحمل اسم (خالد صفوت سليم) ، أما الاسم الحقيقى ، الذى كان ينبغى أن يحتلَّ تلك الخانة ، لولا وضاعتك وحقارتك ، فهو اسم (خالـد سعيد) .

وتدفَّقت الكراهية مع حروف كلماته ، وهو يستطرد :

ـــ (خالد عثمان سعيد) ..

* * *

« ابنه ؟!.. »..

هتف (عادل) بتلك الكلمة فى دهشة ، وهو يجلس إلى جوار (عصام) ، فى سيارة هذا الأخير ، التى تنطلق بأقصى سرعة نحو المقابر ، فأجابه (عصام) فى انفعال :

ـــ نعم .. ابنه .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد لكل الأحداث .. لقد تزوَّج (عثمان سعيد) من تلك الراقصة ، التى منعه والداه من الزواج بها .. تزوَّجها سرًّا ، بعقـد زواج عُرفى ، وسافر إلى الجبهة ، وعندما لقِىَ مصرعه ، رفض أبواه وعمه الاعتراف بها كزوجة له ، على الرغم من أنه قد أرسل إليها خطابًا ، فى أثناء وجوده فى المستشفى ، فى فترة أسره القصيرة ، وعلى الرغم من أنها كانت تحمل فى رحمها ابنه .. ووُلِدَ هذا الابن يتيمًا ، منبوذًا ، يرفض الجميع الاعتراف به ، ونما وهو يحمل فى أعماقه كل الكراهية لمن قتلوا أباه ، وعند توقيع معاهدة السلام ، بيننا وبين (إسرائيـل) ، كان مـن الممكن أن يستعيد رفات أبيه ، وهو لم يفعل سوى منذ عامين أو ثلاثة ، بعد أن حصل على ذلك الخطاب ، الذى أرسله أبوه إلى أمه ، يخبرها فيه بكل ماحدث ، وهذا يبرِّر انتظاره طِيلَة واحد وعشرين عامًا ، حتى يبلغ العمر المناسب ، ثم ينتقم .

هتف (عادل) :

ـــ رائع يا (عصام) .. لقد استنتجت الحقيقة كلها بنفسك هذه المرَّة .

غمغم (عصام) :

ـــ ولكن القضية لم تنته بعد .

قال (عادل) فى حماس :

ـــ ولكنها ستنتهى ، إن عاجلًا أو آجلًا يا صديقى .

وابتسم فى اعتزاز ، وهو يضيف :

ـــ وهذه المرَّة سيكون النصر كله لك .. لك وحدك .

* * *

اتسعت عينا (مختار) فى رُعب ، وهو يحدِّق فى وجه (خالد) ، هاتفًا :

ـــ إذن فأنت ابنه !!.. أنت ابن (عثمان) .

أشار (خالد) إلى صدره فى قوة ، وهو يقول :

ـــ نعم .. أنا ابنه .. أنا ابن ضحيتك .. لقد أنجبتنى أمِّى وهى تبكى على مصيرى ومستقبلى ، وعجزت عن منحى حتى شهادة ميلاد ، تحمل اسم أبى ، واكتفت بشهادة تحمل اسمى ، واسم مُحسن مجهول ، قبل أن يمنحنى اسمه ، دون أيَّة عواطف .. ولقد نشأت وأنا أحمل كل الحب لأبى الحقيقى ، الذى تتغنَّى أمِّى بحبِّه ليل نهار ، وعلمت منها كم كان يحبها ، وكم ضحَّى من أجلها ، وتعلَّمت منذ حداثتى أن أكره قاتليه .. نعم .. إننى أحفظ ذلك الخطاب الأخير ، الذى أرسله لها من

أسره ، عن ظهر قلب .. ذلك الخطاب الذى ذكر لها فيه كل ماحدث .. ولكنه للأسف .. لم يذكر أسماءكم ، أو اسم من أطلق عليه النار منكم .. ربَّما لأنه كان يجهلكم ، أو لأنه كان يحتضر .

صمت لحظة ؛ ليعضّ شفته السفلى فى مرارة ، قبل أن يستطرد :

ـــ وكان علىَّ أن أكمل تعليمى أوَّلًا ، طبقًا لوصيته الأخيرة ، احترامًا منِّى لذكراه ، ولكننى عجزت .. عجزت بسبب فقر أمِّى ، التى كان يمكنها أن تَرْفُل فى الثراء ، لو أنها عادت لمزاولة الرقص ، إلا أنها رفضت ذلك ، احترامًا لرغبة زوجها الراحل وإرادته .

صمت لحظة أخرى ، وكأنما تعوق المرارة حلقه ، قبل أن يتابع :

ـــ وهكذا تضاعفت كراهيتى لكم ، بعد أن عجزت حتى عن تحقيق أمنية أبى الراحل بسببكم ، فتركت كل شىء خلفى ، ورحت أسعى خلف ثلاثتكم ، وأحضرت رفات أبى من قبره ، ليشهد انتقامى له .. وبعد جهد عنيف ، توصَّلت إليكم .. لقد كنتم الناجين الوحيدين ، من تلك الوحدة ، التى كان يعمل بها

أبى .. وزاد من غضبى وسخطى أنكم كنتم تنعمون بالثراء .. بثمن خيانتكم ، وثمن دماء أبى .

ارتسم الحقد على وجهه ، وهو يشير إلى (مختار) ، قائلًا :

ــ وقتلت (جابر) ، و (زكى) ، وعلمت من الأخير أنك ذلك الحقير ، الذى أطلق النار على أبى .

وانقبضت قبضته فى غضب وكراهية ، وهو يهتف :

ــ وكان ينبغى أن تدفع الثمن .

انهار (مختار) ، وهو يقول :

ــ الرَحمة !!

صاح به (خالد) فى غضب :

ــ أيَّة رحمة ؟!.. أحمل قلبك ذرَّة منها ، وأنت تطلق النار على أبى ، من أجل المال ؟.. أسَرَت فى عروقك قطرة منها ، وأنت تسلب وطنًا جريحًا ماله ؟.. أيَّة رحمة تطلب ؟

بكى (مختار) فى انهيار ، وهو يقول :

ــ سأدفع لك أى مبلغ تطلبه .. مليونًا .. مليونين ..

هتف (خالد) فى سُخرية :

ــ فقط ؟!.. أيساوى هذا فى تقديرك خيانة الوطن ، ودماء أبى ؟.. عجبًا !!..

صاح (مختار) :

ــ سأدفع لك نصف ثروتى ، بل ثروتى كلها ، ولكن دَعْنِى أعش .

وانهار باكيًا ، وهو يردِّد :

ــ دَعْنِى أعش .

وبدا صوت (خالد) صارمًا كالسيف ، وهو يقول :

ــ مُحَال .

ثم صوَّب مسدَّسه إلى رأس (مختار) ، مستطردًا :

ــ الخيار الوحيد لك ، هو فى وسيلة الموت .. هل تفضِّل القتل بالرصاص ، أو الدفن حيًا ؟

صرخ (مختار) :

ــ لا .. لا ..

ثم اندفع فجأة نحو (خالد) ، صارخًا :

ــ لن تقتلنى .. لن أسمح لك .. لن .....

بتر عبارته دفعة واحدة ، وجحظت عيناه ، مع صوت ذلك الفحيح الخافت ، الذى صاحب انطلاق الرصاصة ، من فُوَّهة

مسدَس (خالد) ، المزوَد بكاتم للصوت ، وصوت جمجمة (مختار) ، وهى تتهشَم ، عندما اخترقتها الرصاصة ..

وسقط الخائن الثالث جثة هامدة، تحت قدمى ابن ضحيَته ..

وأتمَ الشَبح انتقامه ..

* * *

١١ ــ المواجهة ..

بقى (خالد) جامدًا فى مكانه بضع لحظات ، والدُخان يتصاعد من فُوَهة مسدَسه ، بعد أن سقط الخائن الثالث تحت قدميه ، ثم لم يلبث أن أعاد المسدَس إلى حزامه ، وانحنى يسحب جثة (مختار) إلى داخل القبر المظلم ، وغاب داخله لحظات ، ثم غادره ، وراح يعمل فى همة ونشاط ، لتثبيت الشاهد الرُخامى الجديد فوقه ، ولم يكد ينتهى ، حتى نهض واقفًا ، وقال فى حزم :

ــ الآن يمكنك أن ترقد فى سلام يا أبى .. لقد انتقمت لك .

لم يكد يتمُ عبارته ، حتى سمع صرير عجلات سيارة ، تتوقَف أمام المقابر ، فعقد حاجبيه ، وهو ينتزع مسدَسه ، قائلًا :

ــ ماذا لدينا الآن يا ثرى ؟

شاهد (عصام) يقفز خارج السيارة ، ويندفع نحوه ، فصَوب إليه مسدَسه ، وصاح فى صرامة :

ـــ توقَّف يا أستاذ (عصام) .. إننى أكره أن أطلق النار عليك .

توقَّف (عصام) ، وهتف فى توتُّر :

ـــ أين (مختار) ؟

أجابه (خالد) فى صرامة :

ـــ فى قبره .

هتف (عصام) فى جَزَع :

ـــ قبره ؟!.. هل قتلته ؟

أجاب (خالد) فى هدوء :

ـــ إنها العدالة .. العين بالعين ، والسِّن بالسِّنّ .. ومن قتل يُقتل .. أليس كذلك ؟

هتف (عصام) فى غضب :

ـــ بلى ، ولكن من الخطإ أن يحاول كل منَّا تطبيق العدالة وحده ، وإلا انقلب الأمر إلى غابة مفزعة ، تموج بالحيوانات المتوحشة .

صاح (خالد) فى حِدَّة :

ـــ أكنت تريد منّى أن أكتفى بإبلاغ السلطات ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـــ بالتأكيد .. كان هذا سيحقق لك انتقامًا عادلًا ، دون أن تضع نفسك فى مصافّ القتلة ، أو تضيع مستقبلك .

هتف (خالد) فى مرارة :

ـــ عن أى مستقبل تتحدَّث .؟ لقد ضاع مستقبلى منذ مولدى .

أشار إليه (عصام) ، وهو يهتف فى صرامة :

ـــ أنت أضعته ، فلو أنك ألقيت من قلبك ذلك الحقد الأسود ، وعشت حياة طبيعية ، فربَّما .....

بتر (عصام) عبارته بغتة ، وخفق قلبه فى عُنف ، عندما لمح (عادل) يتسلَّل بين المقابر ، ليباغت (خالد) من الخلف ، ثم لم يلبث أن خشى ملاحظة (خالد) لذلك ، فأسرع يستطرد :

ـــ فربما كنت الآن أحد رجال القانون .

قال (خالد) فى حِدَّة :

ـــ من السهل على من يضع يده فى الماء ، أن يطالب من تحترق يده بالنار بالصمود والصَّبر .

أجابه (عصام) فى انفعال :

ـــ إننى أتحدَّث عن قواعد عامة .

وفجأة ، استدار (خالد) خلفه ، كما لو كان قد شعر بتسلُّل (عادل) ، وصرخ فى غضب هائل :

ــ أيها الخائن .

وشاهد (عصام) (عادل) يقفز نحو (خالد) ، وسمع صوتًا أشبه بفحيح أفعى صغيرة ..

وأصابت الرصاصة (عادل) ..

* * *

سقط (عادل محمود) أرضًا ، وهو يتأوَّه فى ألم ، بعد أن أصابت الرصاصة كتفه الأيسر مباشرة ، وعاد (خالد) يلتفت إلى (عصام) فى حِدَّة ، صارخًا فى غضب :

ــ حتى أنت يا أستاذ (عصام) .. حتى أنت تخوننى .

اضطرب (عصام) ، وهو يقول :

ــ لا أحد يخونك يا فتى .. أنت الذى يقاتل كل القوانين والقواعد :

صرخ (خالد) فى غضب :

ــ أنت تقول ذلك يا أستاذ (عصام) ، وأنا الذى كنت أعتبرك مثلى الأعلى ؟!

قال (عصام) فى توتُّر :

ــ استسلم يا فتى .. لم تعُد هناك فرصة للنجاة .

برقت عينا (خالد) ، وهو يقول :

ــ إلا إذا قتلتكما .

أجابه (عصام) ، وهو يشعر بعرق بارد ، يتصبَّبُ على جبينه .

ــ خطأ .. لسنا وحدنا نعلم بأمرك .. لقد اتصل (عادل) برجال الشُرطة ، ولا ريب أنهم فى طريقهم إلى هنا الآن .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أنت تكذب .

هتف (عصام) :

ــ أقسم إننى لست كذلك .. إن رجال الشرطة فى طريقهم إلى هنا بالفعل .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى تعالَى من بعيد صوت البُوق المميَّز لسيارات الشرطة ، فشَحُب وجه (خالد) ، وهو يهتف فى غضب :

ــ لقد خُنتنى يا أستاذ (عصام) .. خُنتنى .

صاح به (عصام) فى توتر :

ـ استسلم يافتى .. استسلم .

صرخ (خالد) فى جُنوُن :

ـ محال .

ثم رفع مسدَّسه نحو (عصام) ، وأطلق النار ..

* * *

تحرَّك (عصام) فى سرعة كبيرة ، فور رؤيته فُوَّهة المسدَّس تصوَّب إليه .

ربَّما لأنه كان يتوقَّع أن يقدم (خالد) على ذلك ..

أو ربَّما هى غريزة تكوَّنت بمرور الوقت ، ومواجهة الخطر ..

المهم أنه قد قفز جانبًا ، وتفادى الرصاصة القاتلة ، ثم اختفى خلف شاهد أحد القبور ، وهو يهتف :

ـ لافائدة يافتى .. لن يُجدى قتالك هذا .. استسلم .. هذا أفضل لك .

صرخ (خالد) :

ـ مُحَال .. مُحَال .

وراح يلتفُّ حول القبر فى حَذَر ، على حين صاح (عصام) :

ـ ستقتل نفسك .

هتف (خالد) فى حِدَّة :

ـ لَمْ يَعُد ذلك يهم .

كان صوت بُوق سيارة الشرطة يقترب فى سرعة ، و (خالد) يدور حول القبر فى حَذَر وصمت ، على حين راح (عصام) يتساءل فى توتُّر :

ـ أين ذهب ذلك الفتى ياتُرى ؟

وفجأة ، سمع صوتًا من خلفه ، يقول فى صرامة :

ـ هأنذا .

ارتجف جسد (عصام) فى قوة ، وهو يلتفت خلفه ، ويتطلَّع فى ذُعر إلى فُوَّهة مسدَّس (خالد) ، المصوَّبة إلى رأسه ، وغمغم فى توتُّر بالغ :

ـ ألم يكفِك ما أرقت من الدماء ؟

قال (خالد) فى حدَّة :

ـ لاشىء يهم .. لم يَعُد هناك ما يهم .

وهنا ارتفع من خلف (خالد) صوت حازم ، يقول :

ـ ومع هذا لم يَعُد أمامك سوى الاستسلام .

كان (عصام) يتوقَّع ، عندما لمح (عادل) يأتى من خلف (خالد) ، ممسكًا بمسدَّسه ، أن العملية قد انتهت ، لذا فقد ارتجف فى ذُعر ، عندما استدار (خالد) فى سرعة ، وأطلق من مسدَّسه رصاصة نحو (عادل) ، أطاحت بمسدَّس هذا الأخير ، وأخرى أصابت (عادل) فى ساقه ، فأسقطته أرضًا ..

وهنا انقضَّ (عصام) ..

انقضَّ على (خالد) ، صائحًا :

ــ كَفى .. لقد أرقت مايكفى من الدِّماء .

استقبله (خالد) بلكمة عنيفة فى فكِّه ، وأخرى فى معدته ، وثالثة فى صدره ، ثم لكَمَهُ بمسدَّسه ، وهو يصرخ :

ــ ابتعد عنِّى .

سقط (عصام) على ظهره ، بين المقابر ، ورأى (خالد) يرفع مسدَّسه ، ويصوِّبه إليه ، صائحًا :

ــ كنت أكره أن أقتلك ، ولكنك أجبرتنى .

وجذب إبرة مسدَّسه ، مستطردًا فى حزم :

ــ وداعًا يا أستاذ (عصام) .

وفجأة تعالى صوت قوى ، يصرخ ، عَبْر مكبِّر صوتى :

ــ استسلم يا رجل .. المكان كله محاصر برجال الشرطة

التفت (خالد) إلى مصدر الصوت فى عُنف ، وصرخ فى جُنون :

ــ مُحَال .. مُحَال .

وأطلق رصاصات مسدَّسه ..

وهنا جاوبته مئات الرصاصات ، من فُوَّهات مدافع رجال الشرطة الآلية ، ورآه (عصام) ينتفض فى قوة ، ورأى جسده يقفز فى الهواء ، ثم يسقط على ظهره ، فوق شاهد قبر رخامى حديث ..

قبر يحمل اسم (عثمان سعيد) ..

* * *

١٢ ــ الختــام ..

هتف رئيس قسم الحوادث فى فخر :

ــ رائع يا (عصام) .. رائع .. إنه أعظم تحقيقاتك على الإطلاق .

ابتسم (عصام) فى سعادة ، وهو يقول :

ــ شكرًا ياسيِّدى .. إننى أفخر به حقًّا .

سأله رئيس القسم فى اهتمام :

ــ وكيف حال العقيد (عادل محمود) ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ فى خير حال .. لقد انتزع الأطباء الرصاصتين ، وسيشفى سريعًا بإذن الله .

تهلَّلت أسارير رئيس القسم ، وهو يقول :

ــ هذا حسن .. سيلقَى تحقيقك دَوِيًّا هائلًا ، عندما يتمّ نشره غدًا .

صمت (عصام) لحظات ، ثم قال فى تردُّد :

ــ سيِّدى .. هل يمكننى تغيير توقيعى المألوف ، على هذا التحقيق بالذات ؟

هتف رئيسه فى دهشة :

ــ بالطبع .. ولكن لماذا ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إننى أحب أن أوقِّع على هذا التحقيق بالذات ، باسمى ، وليس بتوقيع (ع × ٢) .

غمغم رئيسه فى حَيْرَة :

ــ هذا حقُّك بالطبع .. ولكن لماذا ؟

أجابه (عصام) فى حِدَّة :

ــ لأن هذه القضية تخصُّنى وحدى .

ظلَّ رئيسه يتطلَّع إليه لحظات فى حَيْرَة ، ثم هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ــ لست أفهمك ، ولكن هذا حقّك .

وناوله التحقيق ، قائلًا :

ــ أظننى فهمت الآن فقط ، لماذا لم تذيِّله بتوقيعك منذ البداية .

تناول (عصام) التحقيق فى انفعال ، ورفع غطاء قلمه ، واستعد لتذييل التوقيع باسمه هذه المرَّة ، إلا أن يده تسمَّرت فجأة ، وتتابعت فى ذهنه عدة مشاهد ، تحمل ذكريات قضايا

سابقة ، شارك فيها (عماد) و (عُلا) ، و (عادل محمود) ، والدكتور (على) ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. إنها روح الفريق .

وبكل إصرار وثقة وحزم واقتناع ، ذيَّل التحقيق بالتوقيع المألوف :

توقيع (ع × ٢) .

* * *

[تمت بحمد الله]

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للشباب
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية شبح الضحية

- هل يمكن أن يعود قتيل من عالم الموتى ؟.. لقد عاد شبح الضحيَّة ، لينتقم من قاتليه ، وقاتل (عصام) ؛ ليثبت أنه رجل حيّ ، ولكن من هو ؟.. ولماذا يفعل ذلك ؟
- تُرى .. ما الذى يفعله (عصام) وحده ، فى مواجهة شبح ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وحاول أن تسبق (عصام) هذه المرَّة .. إلى حلّ اللُّغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم
(قضية الغواصة المح...

الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم